

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية والشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمود منتوري قسنطينة
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ والآثار
الرقم التسلسلي:...../
رقم تسجيل الطالب(ة):.....

القيادة العسكرية في الثغرين الأدنى والأعلى بالأندلس في القرن الخامس الهجري حتى الربع الأول من القرن السادس الهجري. (ق11-12م)

مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط
تخصص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس

إشراف الدكتور:

إبراهيم بكير بحاز

إعداد الطالبة:

وردة العابد

السنة الجامعية: 2007-2008م.

الإهداء آ

- إلى الوالدين الكريمين عرفانا بما تكررّما به من حسن التربية.
- إلى كل أساتذتي اعترافا لهم بالجميل وبما قدّموه من جهد ونصح وتوجيه، وأخص بالذكر منهم الدكتور إبراهيم بكير بحاز.
- إلى كل أفراد عائلتي الصغرى، وأخص بالذكر ابنتي شهرة.
- إلى كل أفراد عائلتي الكبرى، وأخص بالذكر الدكتورة إلهام.
- إلى كل من قدم يد المساعدة لإنجاز هذا البحث.
- إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة.
- إلى كل هؤلاء أهدي باكورة جهدي العلمي.

وردة العابد

مقدمة

يعد القرن الخامس الهجري، قرن تحولات في التاريخ الإسلامي الأندلسي وذلك بما شهدته من تحولات بالجملة، سواء على المستوى العسكري أو السياسي أو الاجتماعي وحتى الاقتصادي، وما كان لهذه التحولات من آثار على الأفراد والجماعات والمجتمعات، وحتى في الهياكل العمرانية والبناءات العسكرية؛ إذا علمنا أن الأندلس كان بمثابة الثغر الأكبر للدولة الإسلامية من الجهة الغربية.

والثغور هي منافذ بين الدولة الإسلامية والممالك النصرانية أو غيرها، سواء في المشرق الإسلامي أو في المغرب الإسلامي، وانطلاقاً من أهمية الموقع الجغرافي وإستراتيجيته، فقد عملت الدولة الإسلامية عبر مختلف مراحلها على تحصين الثغور وتعزيزها بقيادة عسكرية نوعية؛ تجعل الدولة الإسلامية في مأمن من الخطر الخارجي. وقد شهدت بلاد الأندلس وجود ثغرين أساسيين، حاول كل نظام من أنظمة الحكم التي وُجدا في زمانها، المحافظة عليها بتجهيز الجيوش وتعزيز حصونهما وهما سرقسطة وطليلة.

فسرقسطة، هي ولاية الثغر الأعلى، الدفاعي الأول في الشمال، حيث تواجه مملكة أراغونة وقطالونيا في شمال شرق إسبانيا الحالية. أما طليلة فهي ولاية الثغر الأدنى، وتُعرف في بعض المراجع العربية بالثغر الأوسط، وهي الخط الدفاعي الثاني، حيث تواجه الممالك المسيحية الشمالية الغربية مثل مملكة ليون، وجليقية، ومن هنا كان اختيار عنوان مذكرتي: القيادة العسكرية في الثغرين الأدنى والأعلى بالأندلس في ق5هـ حتى الربع الأول من ق6هـ (11-12م).

أما سبب تحديد الفترة الزمنية فيرجع ذلك إلى وجود نمطين للقيادة العسكرية الأندلسية والمرابطية، ومواضع الاختلاف الواقع بينهما.

دواعي اختيار البحث:

لقد تضافرت مجموعة أسباب كانت في مجملها دواعي لاختيار مثل هذا البحث، سواء كان منها المباشر أو غير المباشر، وهي:

- الغياب شبه الكلي للدراسات والأبحاث حول القيادة العسكرية في الأندلس، وبالخصوص الفترة موضوع بحثي هذا.

- جل الأعمال التي تطرقت بالبحث والدراسة العسكرية بالأندلس، ركزت على الجانب العسكري لبعض المعارك الهامة وبخاصة موقعة الزلاقة.
- بعض من أفرد بحثاً أو كتب كتاباً، حول الدراسة العسكرية بالأندلس، من الباحثين والدارسين، سواء كان من المدنيين أو العسكريين، يحث الطلبة والباحثين على الخوض والبحث في الجانب العسكري والقيادة العسكرية؛ لأن هذا الجانب في الحضارة الإسلامية شبه مغيب، وبخاصة الدراسات الأندلسية¹.
- فترة زمن الطوائف بالأندلس، فترة مظلومة في التاريخ الإسلامي العام، وكل من درسها يرجع أسباب الوضع الذي آلت إليه إلى سبب وحيد، وهو الانحلال الخلقي مع الإسراف والتبذير. غير أن هذه الصفة أو هذا السبب لم يكن في مجمل حكام الأندلس آنذاك، ولا في مجمل الرعية الأندلسية، بل كان صفة لاصقة ببعض الحكام وبعض الرعية دون الجميع.
- سقوط مملكة طليطلة (478هـ/1085م) رغم بعدها عن الممالك النصرانية، مقارنة بمملكة سرقسطة، يدعو إلى البحث والتقصي حول الأسباب والدواعي الحقيقية، التي تمثلت في شخص القيادة العسكرية وكذا الموقع الجغرافي والاستراتيجي للمملكتين.
- من خلال الدراسة، سواء كانت الأولية - في أثناء إعداد مشروع البحث - أو المعمقة - أثناء إنجاز البحث -، اتضح أن هنالك تبايناً بين القيادة العسكرية في الثغرين، وكذا بين القيادة العسكرية الأندلسية، والقيادة الوافدة على الأندلس والمتمثلة في المرابطين.

إشكالية البحث:

مما تقدم من دواعي وأسباب لاختيار البحث في هذا الموضوع، يمكن أن تكون إشكالية البحث الكبرى كالتالي:

¹ - حناوي محمد: النظام العسكري بالأندلس في عصري الخلافة والطوائف، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2005م، 253، اللواء جمال محفوظ: فن الحرب عند العرب في الجاهلية والإسلام، موسوعة الحضارة الإسلامية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1987م، 3/ 151.

- هل أدت الثغور دورها الحقيقي في بلاد الأندلس، وكانت القيادة العسكرية فيها على نمط واحد، أم أنها اختلفت باختلاف الزمان والمكان والأشخاص والحالة العامة في الحرب والسلم، وبخاصة في الثغرين الأعلى والأدنى؟
- كما يمكن تفريع بعض الإشكاليات الثانوية نجملها كالاتي:
- هل للعامل الجغرافي بكل فروع أثر في القيادة العسكرية؟
- كيف تمكنت قيادة الجيش في الثغر الأعلى من الصمود في وجه الحملات النصرانية، ولم يسقط هذا الثغر في أيدي النصارى حتى سنة 512هـ/1118م، على عكس قيادة الجيش في الثغر الأدنى حيث تمكن ألفونسو السادس من الاستيلاء على طليطلة سنة 478هـ/1085م، فما هي الأسباب؟
- هل كان للقيادة العسكرية المرابطية أثر بين في الحروب في الأندلس؟
- هل التفوق العسكري من حيث الأسلحة وتطوير أساليب القتال، وكذا تطوير أساليب العمارة العسكرية بالأندلس، كان عمل بناء واسترداد للنصارى، ومعمل هدم للإستراتيجية العسكرية الإسلامية بالأندلس؟

المنهج المتبع في الدراسة:

لمثل هذه الدراسة يحتاج الطالب إلى المنهج التاريخي السردى الوصفي، لاستخراج الأحداث وتسجيل الوقائع، مستندا في ذلك على المنهج التحليلي تارة، والاستقرائي تارة أخرى، مع اللجوء إلى المنهج المقارن ما دعت إلى ذلك الحاجة. ويبقى استعمال هذا المنهج أو ذاك بحسب المادة العلمية المتوفرة، وكذا الواقعة التاريخية المطروحة، وإن غلب على بحثي هذا المنهج الوصفي والتحليلي بخاصة.

خطة البحث:

جاءت خطة البحث وفقا للمادة الخبرية المجموعة، وكذا وفقا للمنهج المتبع في هذه الدراسة على النحو التالي: فصل تمهيدي وثلاثة فصول أساسية مشفوعة بخاتمة وملاحقة وفهارس.

ففي الفصل التمهيدي قمت بالتعريف بالثغر، ونشأته في الدولة الإسلامية وكان بمثابة المدخل العام للدراسة.

أما الفصل الأول، وهو بعنوان **التعريف بمملكة طليطلة ومملكة سرقسطة**، فيشتمل على ثلاثة مباحث، فالأول خُصص للموقع الجغرافي لمملكة طليطلة، وقد حددتُ فيه حدودها الجغرافية الطبيعية، وتطرقت إلى التضاريس والمناخ، أما الجغرافية الاقتصادية فقد أظهرتُ من خلالها النشاط الاقتصادي، زراعة وصناعة وتجارة، وتطرقت كذلك للجغرافية البشرية التي بيّنتُ من خلالها العناصر البشرية الفاعلة في المنطقة.

ولم يختلف الأمر بالنسبة للمبحث الثاني والخاص بمملكة سرقسطة، والذي كان مشتملاً على نفس العناصر المذكورة في المبحث الأول، سواء من حيث تحديد الحدود أو من حيث التطرق للجغرافية الطبيعية والاقتصادية والبشرية.

أما المبحث الثالث في هذا الفصل فقد اشتمل على الموقع الاستراتيجي للثغرين، وما مثلاه من دور بارز في المنطقة، من حيث التفاعل ما بين الإنسان والأرض.

أما الفصل الثاني وعنوانه **القيادة العسكرية وقت السلم**، فاشتمل على مبحثين: الأول، تم فيه التعريف بأصول القيادة العليا والإمارة في الإسلام- أي التأصيل الشرعي لأصول القيادة العسكرية في الإسلام-، والمبحث الثاني فقد ذكرت فيه خصائص ومميزات القيادة العليا في الثغرين وقت السلم، مبرزة فيه أسباب القوة وأسباب الضعف في دوام أو زهاب الملك.

وفي الفصل الثالث والذي كان عنوانه **القيادة العسكرية وقت الحرب**، فقد اشتمل على مبحثين أساسيين: المبحث الأول تعرضت فيه إلى التعريف بالأسلحة، سواء كانت أسلحة القتال الهجومية الخفيفة أو الثقيلة منها، وبينت كيف تخضع هذه الأسلحة إلى المحيط الذي تستعمل فيه، وكيف كان اختلاف أسلحة أهل الأندلس عن غيرها من أهل المناطق الأخرى، ولا يختلف الأمر في أسلحة القتال الدفاعية الخفيفة والثقيلة، والتي بينت فوائدها وكيفية استعمالها سواء من قبل أهل الأندلس أو من قبل الوافدين إليها ونقصد بهم المرابطين.

أما المبحث الثاني في هذا الفصل، فقد عنونته بالمواجهات العسكرية في الثغرين، وحاولت فيه رصد أكبر عدد من المواجهات العسكرية التي وقعت في

فترتين مختلفتين ومتعاقبتين، وبينت فيه أصول القيادة العسكرية الحقيقية وبخاصة في الفترة الأخيرة، والتي اشتملت على دخول المرابطين، ومحاولاتهم العديدة لاسترجاع أكبر عدد من المواقع المسلوبة في الأندلس.

اشتملت الخاتمة على عصارة البحث وحاولت فيها استيفاء جميع ما توصلت إليه من نتائج واستنتاجات، وكانت كذلك حوصلة للإجابات التي وضعتها كإشكالات سواء الأساسية منها أو الفرعية، بقدر كبير من الموضوعية العلمية، وبقدر المجهود العلمي المتواضع.

وأردفت البحث بمجموعة من الملاحق، لتوضيح بعض المعالم الجغرافية، وبعض نماذج العمارة العسكرية، وبعض الأسلحة المتنوعة، والتي كانت مستعملة في حدود الفترة الزمنية للبحث (400-520هـ/1010-1226م)، ووضعت جداول زمنية أبرزت فيها ما استطعت من أسماء قادة الثغرين، ويتخلل البحث بعض الخرائط الموضحة لمواقع مدن الثغرين.

وفي الأخير تم ضبط الفهارس العامة والتي اشتملت على فهارس للأعلام وللأماكن والقبائل.

صعوبات البحث:

لقد واجهتني جملة من الصعوبات أثناء القيام بهذا البحث منها:

- غياب المصادر المتخصصة الأندلسية، وبخاصة في الجانب العسكري.
- رغم كثرة مصادر التاريخ السياسي والخاصة بالأندلس، إلا أنها شحيحة بالمادة الخبرية حول الموضوع قيد الدراسة؛ فهي لا تتعدى إلا الوصف العام للحادثة التاريخية.
- طبيعة الموضوع المدروس، وما تتطلبه من دراسة عسكرية، أشكل علي الشيء الكثير، أثناء التعامل مع المصطلحات والمفردات المستعملة.
- الفصل الجغرافي الذي أرهقني لعدم التمرس في المزوجة بين الدراسات التاريخية والجغرافية لطلبة التاريخ بعامة، وما كان في الفصل الجغرافي هو

محض اجتهاد شخصي حاولت أن أبدع فيه قدر المستطاع، لأنني شعرت بضرورته في موضوع عسكري كموضوع بحثي هذا.

المصادر والمراجع:

أ-المصادر:

توزعت مصادر البحث بين مصادر تاريخية سياسية، وأخرى مصادر للسياسة الشرعية، وثلاثة مصادر جغرافية، ورابعة مصادر الطبقات والأنساب، وأخيرا مصادر اللغة والأدب.

1/أ- المصادر التاريخية السياسية:

هي عديدة ومتنوعة، وقد أفدت منها في تخريج المادة الخبرية للبحث، والمقارنة بين الحوادث التاريخية، ومن جملتها كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة للأمير عبد الله بن زيري الصنهاجي(483هـ/1090م)، والذي كان معاصرا لدول ملوك الطوائف، وتاريخ الأندلس لابن الكردبوس(ق6هـ/12م)، والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي(ق8هـ/14م)، وكتاب الأنيس المطرب لابن أبي زرع(ق8هـ/14م)، وتاريخ إسبانيا الإسلامية لابن الخطيب(776هـ/1374م)، وكذا تاريخ ابن خلدون ومقدمته(808هـ/1405م). غير أن المصدر الأساس والذي كان عمدة في مجموع تخريج المادة الخبرية للبحث بعامة، هما كتابا ابن عذارى المراكشي وابن أبي زرع. فابن عذارى، وهو المؤرخ المدقق، جاء كتابه شاملا لأحوال الأندلس بعامة سواء السياسية أو الاجتماعية أو حتى الاقتصادية والعسكرية، وبخاصة الجزئين الثالث والرابع. أما ابن أبي زرع فقد جاءت أهميته بالنسبة لذكره للحوادث العسكرية الخاصة بوجود المرابطين في الأندلس.

هذا بالنسبة للمؤرخين الأندلسيين والمغاربة، أما بالنسبة للمؤرخين المشاركين، فقد كان الاستثناس بكتابي ابن الأثير(630هـ/1232م) في كتابه الكامل في التاريخ، وكتاب نهاية الأرب للنويري(732هـ/1332م).

2/أ- مصادر السياسة الشرعية:

وقد اعتمدت على كتابين أساسيين، أحدهما نظري وهو للإمام الماوردي(450هـ/1057م) والمعنون بالأحكام السلطانية، والثاني هو للإمام الطرطوشي(520هـ/1126م) وهو كتاب سراج الملوك، وهو كتاب تطبيقي تعرض فيه الإمام الطرطوشي للصفات التي يتحلى بها الملوك والأعمال التي قاموا بها في أوقات الحرب والسلم؛ وكذا الخطط الحربية العسكرية التي اتبعتها الجيوش.

أ/3- المصادر الجغرافية:

وهي مهمة، فلا يمكن لأي باحث الاستغناء عنها لما احتوت عليه من أوصاف للبلدان ورصد للأخبار، وتحديد للمواقع والمدن، وما امتاز به كل إقليم عن غيره، وكل مدينة عن أختها؛ وقد تنوعت ما بين مصادر أندلسية مغربية وأخرى مشرقية. فالمشرقية كان عمدتها كتاب معجم البلدان للحموي(626هـ/1228م) وقد أفدت منه في شكل الكلمات وضبطها.

أما الأندلسية والمغربية، فيأتي على رأسها كتاب القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس للإدريسي(560هـ/1164م)، وعمدة المصادر الجغرافية الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري(727هـ/1335م)، فرغم أنه جاء متأخرا فقد جمع كل ما له علاقة بالجغرافية العامة الأندلسية.

أ/4- مصادر الطبقات والأسباب:

طبيعة موضوع البحث حتمت علي عينة من مصادر الطبقات، ومنها الحلة السيراء لابن الأبار(658هـ/1260م)، وذلك في تخريج بعض القادة العسكريين للثغور، أما كتاب جمهرة الأسباب لابن حزم(456هـ/1066م)، فقد أفادني في تخريج القبائل ومواقع وجودها إذ كان المصدر الوحيد الذي اهتم بالأسباب الأندلسية.

أ/6- المصادر اللغوية والأدبية:

تعددت فوائد المصادر الأدبية بحسب استعمالها، فمنها ما استخدم في ضبط مصطلحات لغوية وتعريفات مثل ابن دريد(321هـ/933م) في جمهرة اللغة، وابن سيده(458هـ/1065م) في المخصص، والمحکم والمحيط الأعظم، وابن

منظور(711هـ/1311م) في لسان العرب، أما كتاب البيان والتبيان للجاحظ (255هـ/868م) فكانت الاستفادة منه أعم وذلك بتوضيحه لبعض أنواع الأسلحة استعمالها المختلفة، أما الموسوعة الأدبية الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام(542هـ/1147م)، فقد كانت فائدتها أشمل وأعم وبخاصة في تخريج بعض الحوادث التاريخية التي لا تخلو من بعض الإشارات المهمة واصفة لنتائج المعارك.

ب- المراجع:

فهي عديدة ومتنوعة، منها ما كان يخدم صميم الموضوع، ومنها ما كان للاستئناس وهي كالاتي:

ب/1-مراجع التاريخ السياسي:

ويأتي في المقام الأول كتاب دولة الإسلام في الأندلس، لمحمد عبد الله عنان، في الجزء الخاص بعصر الطوائف وعصر المرابطين والموحدين، والذي أمكنني من معرفة أوضاع الأندلس عامة، كما لا يفوتني التتويه بما كتب مختار العبادي وبخاصة كتابه في تاريخ المغرب والأندلس، والذي كان نقطة انطلاق لدراسة هذا الموضوع. كما يجب التذكير والاعتراف بالجميل لمجموع من كتب عن تاريخ الأندلس، من المعاصرين وعلى رأسهم محمد الأمين بلغيث، ومحمد حناوي، هذا الأخير الذي أفدت من كتابه: النظام العسكري في عصري الخلافة والطوائف، وفتحي زغروت صاحب كتاب الجيوش الإسلامية.

ب/2-مراجع السياسة الشرعية:

مثل ما كان في مصادر السياسة الشرعية من قلة العدد، فإن المراجع كانت كذلك، وتعددت معها أوجه الاستفادة، من حيث التفصيل والشرح والتدقيق، وأهم المراجع في ذلك، كتاب النظم الإسلامية لصبحي الصالح، وكتاب النظم الإسلامية لحسن إبراهيم حسن، وكتاب المدرسة العسكرية لمحمد فرج.

ب/3-مراجع التراجم والطبقات:

وكان خير معين في ذلك كتاب الأعلام للزركلي، بحيث لم يتف صاحبه بتخريج الأعلام فقط، بل يحيل الباحث على المصادر المساعدة أو المعتمدة في التخريج.

ب/4- الموسوعات والقواميس:

استعنت بالموسوعات والقواميس في تخريج وتحديد بعض المصطلحات المفاهيمية، كما استخدمتها في تخريج بعض الشخصيات التاريخية الفاعلة في الفترة المحددة للبحث.

ج- المراجع المترجمة والأجنبية:

كانت المراجع العربية كافية لسد حاجة الباحث في هذا الموضوع، غير أن طبيعة البحث تقتضي معرفة نظرة الآخر، لذا اعتمدت كتابا ليوسف أشباخ، والذي أفاض في بيان أمر المرابطين، من الناحية العسكرية والماليك النصرانية. أما المراجع الأجنبية فقد اعتمدت على بعض منها ككتاب ليفي بروفنسال، *L'Espagne musulmane au X siècle*، وأندري كلو، في كتابه *L'Espagne musulmane*، وبيار غيشار، في كتابه *Al-Andalus 711-1492 Une histoire de l'andalousie arabe.*

د- الرسائل الجامعية:

قليلة هي الرسائل الجامعية في الموضوع قيد الدراسة، ولذا استعنت برسالة دكتوراه عبد القادر بوباية والتي عنوانها البربر في الأندلس والتي أفادتنني في معرفة المواقع الجغرافية لتمرکز القبائل العربية والبربرية، ورسالة دكتوراه كذلك، بعنوان: الثغر الأعلى الأندلسي في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي لصاحبها: محمد رضا عبد العال والتي أفدت منها في العمارة العسكرية.

هـ- المجالات:

كانت مجلة آفاق الثقافة والتراث، والمجلة التاريخية المصرية، ومجلة الحرس الوطني السعودية، أهم المجالات المعتمدة في البحث، وقد أفدت من مجلة الحرس الوطني السعودية، الشيء الكثير خاصة ما يتعلق بالمصطلحات العسكرية،

وتوظيفها في تحليل الحادثة التاريخية والواقعة الحربية، بما يتماشى والعصر الحديث.

فهذه بعض المصادر والمراجع التي تم توظيفها في هذا البحث، وقد أوردتها مفصلة في القائمة النهائية في ختام هذه الدراسة.

وبعد هذه الإطلالة المفصلة حول البحث وحيثياته، فلا يفوتني أن أذكر بأن هذا العمل، هو مجهود علمي، قد يراه البعض بسيطاً، وقد يراه البعض كاملاً متوازناً، يمثل باكورة البحث العلمي لجهد متواضع، لطالب مبتدئ، ولعله يكون لبنةً وإضافة جديدة، ولو بالشيء القليل، للبناء المعرفي الإنساني في التخصص.

وقد بدأ هذا البناء المعرفي في التأسيس في مرحلة سابقة للبحث، أي في مرحلة الليسانس، غير أن ملامحه الحقيقية، بدت معالمها على الوجه اللائق بها في المرحلة النظرية للماجستير، وذلك من خلال المجهود الطيب والمعتبر الذي بذله الأساتذة المؤطرون سواء بملاحظاتهم، والتي كانت قيّمة ومعتبرة، أو بتوجيهاتهم السديدة، أو من خلال أوقاتهم الثمينة التي أنفقوها على ترشيد فكرنا، لذا وجب لهم مني جميعاً كل الامتنان والشكر والتقدير.

وأخص بالذكر منهم الدكتور الفاضل إبراهيم بكير بحاز، الذي ما فتئ يسدد الخطى، ويصحح الأخطاء، ويرشد ويقارب، رغم أشغاله الكثيرة، وارتباطاته العلمية المتنوعة، إلا أنه ظل يراقب البحث بدقة وتفصيل، حتى استوى البحث على الشكل المؤهل له للطبع والمناقشة العلنية، فله مني على كل ما بذله من جهد وصبر، أسمى آيات العرفان والتقدير، وله جزيل الشكر والاحترام.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر الكبير لأعضاء اللجنة العلمية المناقشة لهذا البحث على صبرهم على القراءة وعلى ما سيجدون من أخطاء وتقويمهم لي.

تمهيد:

نشأة الثغور ودورها في الدولة

الإسلامية.

المبحث الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي للثغر.

المبحث الثاني: نشوء الثغور ودورها في الدولة الإسلامية.

المبحث الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي للثغر.

أ- التعريف اللغوي:

عرفت كلمة الثغر عدة معان منذ قديم الزمان وعدة دلالات في مصادر ومعاجم اللغة، وذلك من خلال اشتقاقات كلمة الثغر، فقد جاءت بمعنى إنبات الأسنان أو سقوطها عند ابن دريد فيقال: "أثغر الغلام إذا نبتت ثغره، وأثغرَ إذا ألقى أسنانه"¹، ويتفق معه ابن فارس حيث يقول: "يقال ثُغر الصبي إذا سقطت أسنانه، وأثغرَ إذا نبتت بعد السقوط وربما قالوا عند السقوط"².

وذكرت كلمة الثغر بمعنى الفم³، ويفصّل ويدقق ابن سيده أكثر في كلمة الثغر في كتابه المخصص عند وصفه لأعراض الأسنان من قبل نبتها فيقول: "الرثل وهو اتساق الأسنان واستواؤها، ثغر رثل ورثل وامرأة رثلة الثغر"⁴.

وعند اشتقاق كلمة الثغرة من الثغر فهي: "تلم والثلمة... أي سدنا عليهم تلم الجبل"⁵، وأوردها الفيروز أبادي بمعنى: "تلم والثلمة سدها"⁶، في حين يقول ابن منظور: "ثغرتُ الجدار إذا هدمته"⁷.

ومما تقدم يمكن استخلاص أن الثغر يعني الفراغ بين شقين يسهل سده وفي نفس الوقت يمكن العبور منه.

ب- التعريف الاصطلاحي:

أجمع علماء اللغة العربية على تعريف اصطلاحي موحد فهو عند ابن سيده: "موقع المخافة من فروج البلدان"⁸.

¹ - ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن: كتاب جمهرة اللغة، تح بعلبكي رمزي منير، دار العلم للملايين لبنان، ط1، 1/ 421.

² - ابن فارس بن زكريا أبو الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط3، 1/ 378-379.

³ - ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي: المحكم والمحيط الأعظم، تح إبراهيم الأبياري، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، القاهرة، ط1، 1371هـ/1971م، 5/ 285. و الفيروز أبادي الشيرازي محمد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مطبعة بولاق مصر، ط1، 1301هـ، 1/ 379.

⁴ - ابن سيده: المخصص، دار الفكر، المجلد الأول، السفر الأول، 149.

⁵ - ابن منظور محمد بن مكرم بن علي الأنصاري: لسان العرب، تح عبد الله علي الكبير وآخر، دار المعارف، بيروت، [د.ت.ط]، 1/ 486.

⁶ - الفيروز أبادي: المصدر نفسه، 1/ 379.

⁷ - ابن منظور: المصدر نفسه، 1/ 487.

⁸ - ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، 5/ 285.

وعند الحموي فهو: " كل موضع قريب من أرض العدو"¹، وكذلك هو: " ما يلي دار الحرب"² عند الفيروز أبادي.

وقد عرفت الثغور على أنها: " منطقة الحصون التي بنيت على تخوم الشام والجزيرة لصد غزوات الروم"³؛ وذلك لشيوع استعمال مصطلح الثغر عند المشاركة من قبل استعماله في المغرب الإسلامي، فهذه المناطق كانت: " موضع صراع بين المسلمين والروم (البيزنطيين) لكونها على التخوم من هذه الجهة أو تلك وكانت عرضة لهجمات المرابطين والمحاربين"⁴.

المبحث الثاني: نشوء الثغور الإسلامية ودورها في الدولة الإسلامية.

تعد المنطقة الوسطى من الجزيرة العربية مركزا حساسا حيث تظهر أهميتها على الخصوص في القرن السابع الميلادي حين ظهر الإسلام والذي قلب نظام العرب رأسا على عقب، فبعدهما كانوا رعاة غنم أصبحوا هداة أمم، وهم الذين كانوا يعيشون: " بين شقي أكبر إمبراطوريتين في ذلك الوقت هما الفرس ودولة الروم أو الدولة البيزنطية"⁵.

ووجود العرب بين دولتين عظيمتين أوجد نوعا من العلاقات السياسية والاقتصادية بين مد وجزر خصوصا قبل مجيء الإسلام، فقد كان من العرب من يوالي الروم وهم عرب الغساسنة، حيث يتمركزون في الشام وضواحيها، ومنهم من يوالي الفرس وهم المناذرة حيث كانت أرضهم العراق، لكن الوضع اختلف بعد مجيء الإسلام ودخول كل عرب الجزيرة الإسلام.

فقد جمع الإسلام كل العرب على كلمة واحدة وتحت راية واحدة، وطبيعة هذا الدين أنه عالمي، فكان لأبد من أن ينتشر في جميع بقاع الدنيا فأرسلت الرسل

¹ - الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت: معجم البلدان، تح فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1410هـ/1990م، 93/2.

² - الفيروز أبادي: المصدر نفسه، 379/1.

³ - دائرة المعارف الإسلامية: تر أحمد الشنتناوي وآخرون، دار المعرفة القاهرة، [د.ت.ط]، 6/ 203.

⁴ - حركات إبراهيم: المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط، إفريقيا الشرق، المغرب 1998، 122.

⁵ - ربيع محمد حسنين: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية بيروت، ط5، 1995م، 59.

إلى الحكام والملوك ثم كانت بعد ذلك الفتوحات وتوالت الانتصارات على قوى الشر والشرك.

فكان انتصار المسلمين في يوم القادسية 16هـ/632م بشارة خير للمسلمين ونقطة استدارة في التاريخ حيث عجلت بنهاية الإمبراطورية الساسانية في تلك المنطقة: "واعتبرت هذه المدينة ثغرا من ثغور العراق"¹، وجاء بعد هذا الفتح فتح: "العراق ومن وراء العراق فارس كلها"².

ولقد اكتسب المسلمون قوة وعزة جعلت ما تبقى من قوى سياسية متاخمة لحدودهم تحسب لهم الحسابات، وكان من الضروري تعزيز النظام الأمني خاصة من جهة الدولة البيزنطية؛ فقد اهتم الخلفاء الراشدون بإعداد الجيوش وتدريبها وتحصين المناطق حيث كانت: "الثغور الساحلية والبرية المجاورة أو المهدة بهجوماتهم تشمل حيزا كبيرا من التنظيمات الأمنية"³ وكان من ضمن هذه التنظيمات المدن الحصينة والتي حرص الخلفاء الراشدون على أن: "لا يولونها إلا شجعان القواد والراغبين منهم في الجهاد والحرب"⁴.

وعندما استخلف عثمان بن عفان -رضي الله عنه- (23-35هـ/634-646م): "جمع لمعاوية الشام والجزيرة وثورهما"⁵.

وقد كان العدو الأول والأخير للدولة الإسلامية هو الروم وهذا بعد سقوط دولة الفرس، حيث كان الروم يتخيرون الأماكن بحيث تمركزوا في مدن السواحل، فكانت مصر أهم قاعدة للدولة الإسلامية بموانئها: "في عالم البحر المتوسط وفي تأمين الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام"⁶ وتظهر الإسكندرية⁷

¹ - الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحصان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة القاهرة، ط2، 448.

² - كمال أحمد عادل: القادسية، دار النفائس لبنان، ط9، 1409هـ/1989م، 10.

³ - حركات إبراهيم: المرجع نفسه 272.

⁴ - الحموي: المصدر نفسه 2/94.

⁵ - البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي: فتوح البلدان، تح رضوان محمد رضوان، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، 1959، 167. وابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي الموصلية: كتاب الأرض، دار مكتبة الحياة، لبنان، ط2، 1992، 154.

⁶ - ربيع محمد حسنين: المرجع نفسه 81-82.

⁷ - الإسكندرية: مدينة عظيمة من ديار مصر بناها الإسكندر بن فليس فنسبت إليه، وهي على ساحل البحر الملح... والإسكندرية من عمالة مصر قاعدة من قواعدها... وهي بركة وبحرية. الحميري: المصدر نفسه 54-56.

ودمياط¹: "من ثغور مصر الشمالية البحرية وأسوان² من ثغورها البرية الجنوبية"³.

والملاحظ في المصادر التاريخية، أن الثغور عرفت بأسماء معينة وميزات خاصة، وذلك يرجع حسب موقعها الجغرافي المكاني أو بحسب وجودها للاتجاهات الأربعة؛ فمنها ما يطلق عليه: "ثغور المسلمين الشامية"⁴ ومنها الثغور الجزرية⁵، غير أن ابن حوقل يميّز الثغور الشامية عن الثغور الجزرية بجبل اللكام⁶ في حين نجد أن ابن قدامه يفصل أمر الثغور الشرقية على ثلاث مستويات بأن جعلها برية أو بحرية أو برية بحرية بحسب تواجد الثغر، فيذكر أن الثغور البرية ما: "تلقاه بلاد العدو وتقاربه من جهة البر"⁷ والثغور البحرية ما: "تلقاه وتواجهه من جهة البحر"⁸ أما الثغور البرية البحرية فهي: "الثغور المعروفة بالشامية"⁹.

وقد استمرت الفتوحات الإسلامية باتجاه الغرب حيث فتح المسلمون بعض مناطق إفريقيا وخاصة الساحلية منها تتبعا لتواجد الروم ومراكزه المحصنة بها، فكانت القيروان أول ثغر من ثغور الغرب التي اختطها المسلمون واستقروا بها عام 55هـ/666م تحت قيادة عقبة بن نافع. هذا الأخير الذي جعل من القيروان قاعدة انطلاق حيث: "افتتح ما خلفها حتى بلغ تونس"¹⁰.

¹ - دمياط: مدينة في البلاد المصرية على ساحل البحر قريبة من تينيس إليها ينتهي ماء النيل. الحميري: المصدر نفسه 257.
² - أسوان: في الصعيد الآخر بلاد مصر... وأسوان من ثغور النوبة إلا أنهم في أكثر الأوقات مهادنون. الحميري: المصدر نفسه 57-58.
³ - عطية الله أحمد: القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1963/1383، 1/538.
⁴ - البلاذري: المصدر نفسه 186.
⁵ - البلاذري: المصدر نفسه 187. وابن حوقل: المصدر نفسه، 154.
⁶ - جبل اللكام: بالضم وتشديد الكاف... وهو الجبل المشرف على أنطاكية وبلاد ابن ليون والمصيصة وطرسون وتلك الثغور. الحموي: المصدر نفسه، 25/5.
⁷ - ابن خردادبه أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله: المسالك والممالك وبلية نيز من كتاب الخراج وصناعة الكتابة لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، مكتبة المتنى بغداد [د.ت.ط]، 253.
⁸ - ابن قدامه: المصدر نفسه، 253.
⁹ - ابن قدامه: المصدر نفسه، 253.
¹⁰ - مؤلف مجهول: كتاب أخبار مجموعة، تح إسماعيل العربي المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر 1989. 95.

وهبت على الدولة الإسلامية رياح الفتنة حيث انشقت عصا وحدة المسلمين بين مؤيد للخلافة الأموية وبين معارض لها، ومؤيد لحكم عبد الله بن الزبير في مكة المكرمة، فتوقفت الفتوحات الإسلامية إلى أن استقر أمر المسلمين تحت الخلافة الأموية في الفرع المرواني، حيث: "تفرغ عبد الملك والوليد وأصبح ثغر إفريقيا أهم الثغور، فدعا موسى بن نصير... وعقد له في سنة 78هـ على إفريقيا وما خلفها".¹

فقد قام موسى بن نصير: "يتتبع الروم في مراكزهم وتصفية بقايا قلاعهم"² حيث كان: "ساحل البحر كله للروم"³ واستمر كذلك في متابعة قبائل البربر في المناطق الداخلية حتى بلغ طنجة⁴ غربا، وهي: "قصة بلاد البربر وأم قراهم فافتتحها واختطها قيروانا للمسلمين... سنة 89هـ"⁵ ولم يتوقف عند هذا الحد بل: "سار موسى يريد مدائن على شط البحر فيها عمال صاحب الأندلس كانوا قد غلبوا عليها وعلى ما حولها من المدائن عالج يسمى يليان فقاتله موسى"⁶ غير أن القوة العسكرية للقائد يليان كانت أكبر من أن تتصور مما جعل موسى يقفل راجعا إلى طنجة.

غير أن ظروفًا معينة غيرت مجرى الأحداث في تلك المنطقة وجعلت الوضع يختلف عن سابقه بحيث بعث يليان: "إلى موسى بالطاعة وأقل عليه فأدخله المدائن"⁷ ثم شوقه إلى فتح الأندلس ووصفها له ووعدته بالمساعدة فكتب موسى إلى خليفة المسلمين الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م) يستأذنه في ذلك فأذن له فجهز

¹ - مؤلف مجهول: المصدر نفسه، 96.

² - موسى لقبال: المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط3، 1984م، 127.

³ - ابن الكردبوس أبو مروان عبد الملك التوزري: تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط قطعة صلة السمط وسمة وسمة المرط للمؤرخ التونسي محمد بن علي بن محمد بن الشباط. تح أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية مدريد، 1971م، 42.

⁴ - طنجة: مدينة بالمغرب قديمة على ساحل البحر... وطنجة آخر حدود إفريقيا من المغرب، ومسافة ما بين طنجة والقيروان ألف ميل. الحميري: المصدر نفسه، 395-396.

⁵ - مؤلف مجهول: المصدر نفسه 96. وذكر الحميري أن ذلك كان عام 88هـ، ينظر الروض المعطار، ص396.

ص396.

⁶ - مؤلف مجهول: المصدر نفسه 96.

⁷ - مؤلف مجهول: المصدر نفسه 97.

جيشا تحت قيادة طارق بن زياد؛ هذا الأخير الذي فتح الأندلس في 17 رمضان 92هـ/711م.

وقد قام طارق بن زياد وموسى بن نصير بالفتوحات في الأندلس حتى بلغوا أقصى الشمال حيث أصبحت: "الأندلس نهاية الغرب وبها مجمع البحرين"¹. ومن حينها أصبحت: "الأندلس بمثابة ثغر هام، يقع في أقصى غرب ما كان يعرف بدار الإسلام"².

وقد تميّزت الأندلس بعد فتحها بحفاظها على النظام الإداري الذي كان سائدا في عهدها السابق حيث أن: "العرب لما دخلوا البلاد وجدوا فيها نظاما إداريا جاريا ثابتا صالحا، فجزوا عليه دون الحاجة إلى التخطيط والتنظيم"³. وللرغبة الكبيرة والهمة العالية عند الفاتحين، فإنهم استمروا في الفتح قاصدين فتح جميع الأراضي المجاورة للأندلس حتى يبلغوا عاصمة الخلافة برا مروراً بالقسطنطينية ويجعلوا البحر المتوسط: "كله عبارة عن بحر متوسط للمملكة الإسلامية يخدم موصلات بعضها مع بعض"⁴.

غير أن الصراع مع نصارى الشمال ومملكة الفرنج، جعل القائمين من المسلمين على شؤون الأراضي المتاخمة لتلك المملكة، يطلقون عليها كلمة الثغر. فالثغر أو الثغور الأندلسية هي: "مناطق حربية، فلذلك تُعهد إلى قواد عسكريين كبار"⁵ وقد بقيت هذه الثغور محافظة على نفس النظام الإداري السابق المعروف بقسمة قسطنطين، والذي جعلها: "قسمان هما إسبانيا الدنيا وإسبانيا القصوى"⁶، وعرفت عند المسلمين بالثغر الأعلى وقاعدته سرقسطة وهذا مجمع عليه في جميع المصادر المشرقية والأندلسية كما سيبيء توضيحه لاحقا.

¹ - ابن خرداذبة: المصدر نفسه. 22-23.

² - حناوي محمد: النظام العسكري في عصر الخلافة والطوائف، دار أبي رقرق للطباعة والنشر الرباط، ط1 2003م، 53.

³ - مؤنس حسين: فجر الأندلس، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1405هـ/1985م، 532.

⁴ - شكيب أرسلان: غزوات العرب، مكتبة الحياة لبنان، 1966، 52.

⁵ - حناوي محمد: المرجع نفسه 556.

⁶ - مؤنس حسين: المرجع نفسه، 537.

أما الثغر الأدنى فقد وقع فيه الكثير من الاختلاف؛ وبخاصة في المراجع، وذلك راجع إلى التقسيم الإداري المعمول به من عهد قسطنطين أو التقسيم الإداري العسكري، الذي له علاقة بالمماليك الإسبانية الناشئة على شكل إمارات أو دويلات صغيرة، محاولة منها استرجاع ما أخذه المسلمون، حيث نجد البعض منهم يطلق مصطلح الثغر الأدنى على المنطقة الواقعة بين نهري دويره وتاجه، ويجعل عاصمته ماردة¹.

غير أن البعض الآخر يطلق مصطلح الثغر الأدنى أو الأوسط على المنطقة الواقعة وسط الأندلس وعاصمته طليطلة، وذهب إلى هذا الرأي كل من ليفي بروفنسال حيث يقول: "الثغر الأوسط أو الأدنى والذي عاصمته مدينة سالم"² وهذا بعد إنشاء مدينة سالم، ويذهب شكيب ارسلان إلى تسمية طليطلة بأنها: "كانت المعقل الأعظم لهم في وجه الإسبانيول وكانت تسمى الثغر الأدنى"³، وكذا مختار العبادي في تحقيق كتاب تاريخ الأندلس لابن الكردبوسي حيث يقول عن طليطلة زمن ملوك الطوائف: "فقد اعتبرها المسلمون ثغرا أدنى للدولة الإسلامية الأندلسية"⁴.

ويتجلى دور الثغور الأندلسية في حماية الدولة الإسلامية من الأخطار الخارجية البرية والبحرية، وبالخصوص من الناحية الشمالية، حيث توجد القوى المناوئة للدولة الإسلامية، المتمثلة في منطقة الجبالقة والبشكنس سكان نفارا والقطلان ويظهر ذلك جليا في عصر الإمارة وجزء من عصر الخلافة وعصر الطوائف.

¹ - ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان القرطبي: المقتبس خمسة سنوات من أيام الحكم المستنصر تح: الحجى عبد الرحمن علي، دار الثقافة لبنان، 68. ويذهب المحقق إلى ما ذهب إليه ابن حيان في كتابه: العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا الغربية، منشورات المجمع الثقافي الإمارات العربية، 2004م، 98.

² - Lévi Provençal =L'Espagne Musulmane au X siècle. Institutions et vie sociale. Nouv -ed- Paris Maisonneuve et larose, 2002, P121.

³ - أرسلان شكيب: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، 1/ 364.

⁴ - ابن الكردبوس: المصدر نفسه، ص87.

كما كانت الثغور قاعدة انطلاق للفتوحات الإسلامية ونشر الإسلام بالخصوص في عهد الولاة(96-138هـ/716-756م)؛ حيث وصلت الفتوحات إلى جنوب فرنسا، كما كان لها نفس الدور في عهد المنصور بن أبي عامر(367-392هـ/977-1002م)، فقد شن الغارات على كل من قطلونيا في شمال شرق إسبانيا(374هـ/985م)،والحملة على الشمال الغربي لإسبانيا في جليقية(387هـ/977م). لكن الوضع اختلف بعد سقوط نظام الخلافة وقيام عصر ملوك الطوائف بحيث أصبح الدور الأول والأخير للثغر الإسلامي الأندلسي هو حماية الإمارات الإسلامية من العدو الخارجي.

الفصل الأول

التعريف بمملكة طليطلة ومملكة

سرقسطة.

المبحث الأول: الموقع الجغرافي لمملكة طليطلة قاعدة الثغر
الأدنى:

400-478هـ/1010-1085م.

المبحث الثاني: الموقع الجغرافي لمملكة سرقسطة قاعدة الثغر
الأعلى : 400-512هـ / 1010-1118م.

المبحث الثالث: الموقع الاستراتيجي للثغرين.

المبحث الأول: الموقع الجغرافي لمملكة طليطلة قاعدة الثغر

الأدنى: 400-478هـ/1010-1085م.

أ/ حدود مملكة طليطلة

ب/ الجغرافية الطبيعية

ج/ الجغرافية الاقتصادية

د/ الجغرافية البشرية

أ/ حدود مملكة طليطلة.

تعد مملكة طليطلة¹: " مركزا لجميع الأندلس"²، تحيط بها مجموعة من الممالك، يحدها من الغرب مملكة بني الأفطس، ومن الشرق مملكة سرقسطة، ومن الجنوب الشرقي بلنسية، ومن الشمال مملكة قشتالة ومملكة ليون؛ أما من الناحية الجنوبية إمارة قرطبة ومملكة غرناطة ومملكة الصقالبة.

تتربع مملكة طليطلة على: " نحو خمس مساحة الأندلس الإسلامي"³، عاصمتها مدينة طليطلة: " حيث الطول خمس عشرة درجة ونصف والعرض ثلاث وأربعون درجة وثمان عشرة دقيقة"⁴، حيث يحدها من الشمال الشرقي وادي الحجارة وهي: " من ثغور الجلالة"⁵، أما من الشرق قونقة وتعرف كذلك بقورية، وكانت ثغرا: "للمسلمين في مدة ملوك الطوائف"⁶، أما من الجنوب الغربي حتى حدود إمارة إمارة قرطبة مدينتي المعدن والمدور، ومن الغرب طليطلة وهي: " أقصى ثغور المسلمين"⁷ مع الجلالة.

وتتضمن: " المملكة الطليطالية"⁸، مجموعة من المدائن حصرها البكري: " في عشرين مدينة قاعدتها مدينة طليطلة"⁹، ويذكر الإدريسي أن طليطلة: " تقع في إقليم

¹ - طليطلة: يضم الطاءين وفتح اللامين، وأكثر ما سمعناه من المغاربة بضم الأولى وفتح الثانية. الحموي: المصدر نفسه، 4/ 45. أما عند أبي الفداء بضم الطاء المهملة وفتح اللام وسكون المثناة من تحت وكسر الطاء الثانية ثم لام وهاء، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر: تقويم البلدان، تح رينو وآخر، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1850، 176.

² - الحميري: المصدر نفسه، 393.

³ - مؤنس حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، 2004، 419.

⁴ - ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى: كتاب الجغرافيا، تح إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط2، 1982، 179. القلقشندي، أبو العباس: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1340هـ/1922م، 5/ 227.

⁵ - الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي: المسالك والممالك، تح محمد جابر عبد الله الحيني، [د.ت.ط]، 36. ابن حوقل: المصدر نفسه، 106.

⁶ - ابن سعيد المغربي: المصدر نفسه 179.

⁷ - البكري، أبو عبد الله الشريف: جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، تح عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد بيروت، ط1، 1387هـ/1968م، 89. الحميري: المصدر نفسه، 395.

⁸ - ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تح د/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط1964، 3م، 2/ 7.

⁹ - البكري: المصدر نفسه 62.

جبال الشارات وفيه طليبرة¹ وطليلة، ومجريط²، والفهميين³، ووادي الحجارة، الحجارة، وإقليش⁴، وربذة⁵6

أما ابن سعيد المغربي يجعل جبل الشارة نقطة يحدد منها المدن الواقعة من شرق الأندلس إلى غربها منها مدينة قورية⁷، مدينة شونترين⁸، مدينة وليد⁹، مدينة أبله¹⁰، مدينة الفرج¹¹، مدينة سالم¹².

هذا الاختلاف في المدن التابعة لمملكة طليطة يرجع سببه إلى عدم ثبوت الحدود: "نظرا لحالة الحرب التي كانت دائرة بين ممالك الطوائف... وبين إسبانيا النصرانية."¹³

في حين المراجع العربية تحدد مدن طليطة على أنها مدينة: سالم ووادي الحجارة، وقونقة، ووبذة، وأقليش، ومورة، وطليلة وترجالة¹⁴؛ ويضيف مختار العبادي مدينة مجريط¹⁵.

ب/ الجغرافيا الطبيعية:

ذكرنا في المبحث السابق أن مدينة طليطة مركز الأندلس، فجبل الشارات الذي يقسم الأندلس بالطول يجعل طليطة إلى جنوبه، ويذكر المقري عن الشيخ

¹ - طليبرة: بفتح أوله وثانيه، وكسر الباء الموحدة ثم ياء مثناة من تحت ساكنة، وراء مهملة. الحموي: المصدر نفسه، 4/ 43.

² - مجريط: بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر الراء وباء ساكنة وطاء. الحموي: المصدر نفسه، 69/5.

³ - الفهميين: كأنه جمع فهمي، إسم قبيلة بالأندلس من أعمال طليطة. الحموي: المصدر نفسه، 319/4.

⁴ - أقليش: بضم الهمزة وسكون القاف، وكسر اللام وياء ساكنة وشين معجمة. الحموي: المصدر نفسه، 282/1.

⁵ - ربذة أو وبذة: بالفتح ثم السكون، وذال معجمة. الحموي: المصدر نفسه، 413/5.

⁶ - الإدريسي، أبو عبد الله الشريف: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تح إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، [د.ت.ط]، 261.

⁷ - قورية: بالضم ثم السكون والراء مكسورة وياء خفيفة. الحموي: المصدر نفسه، 4/ 468.

⁸ - شونترين: شنترين كلمتان مركبة من شنت كلمة ورين... ورين بكسر الراء وياء مثناة من تحت ونون. الحموي: ونون. الحموي: المصدر نفسه، 3/ 416.

⁹ - مدينة وليد: مدينة غرب مدينة طليطة : أبو الفداء، المصدر نفسه 177.

¹⁰ - مدينة أبله: مدينة شمال غرب طليطة.

¹¹ - مدينة الفرج: الفرج بفتح الفاء والراء المهملة ثم جيم. أبو الفداء: تقويم البلدان، 178.

¹² - مدينة سالم: المدينة معلومة وسالم بسين مهملة وألف ولام وميم. أبو الفداء، المصدر نفسه، 178.

¹³ - مؤنس حسين: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1407هـ/1987م، 188.

¹⁴ - عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح

المرابطي، مكتبة الخانجي القاهرة، ط3، 1408هـ/1988م، 95/3.

¹⁵ - العبادي مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ط2، 1425هـ/2005م،

أحمد بن محمد ابن موسى الرازي أن الأندلس أندلسان حيث يقول: "إن الأندلس أندلسان في اختلاف هبوب أرياحها ومواقع أمطارها وجريان أنهارها"¹، فيقسم الأندلس إلى أندلس غربي وأندلس شرقي ويجعل طليطلة وأعمالها في جزء الأندلس الغربي وهو: "ما جرت أوديته إلى البحر المحيط الغربي وتمطر بالرياح الغربية"² فيسود مناخ المتوسط الذي هو حار جاف صيفا بارد ممطر شتاء. تقع مدينة طليطلة على: "أكمة صخرية يبلغ ارتفاعها 568م"³ تحيط بها: "سبع جبل عامرة"⁴، كما يحيط بها نهر التاجه⁵ من ثلاث جهات حيث تبلغ: "مساحته مائة وأربعون (140) فرسخاً"⁶، ويشق النهر عدة أودية تتخلله أعمال طليطلة؛ فنجد أن مدينة واحدة تشاركها في نهر التاجه هي مدينة طليطلة والتي تقع في غربها وهي ذات مساحة واسعة وقد بنيت على جبل عظيم وتبعد عن طليطلة سبعين (70) ميلاً.

أما بقية الأعمال أو المدن فتمتد على هضبة محصورة بين مجموعة من الوديان أو الروافد منها بذة أو وبذة، مدريد أو مجريط ومدينة سالم. فالملاحظ أن مدن الثغور في الأندلس قد بنيت كلها على هضبة مرتفعة مما يساعد على مناعتها وحصانتها ضد الأعداء، وبما في ذلك مدينة أقليمش التي تقع في سفح التل.

ج/الجغرافية الاقتصادية: يعد مناخ البحر الأبيض المتوسط من أفضل المناخات في العالم بما يتميز به من خصائص على إيجاد الجو المناسب من حيث الاعتدال وكذا الغطاء النباتي والزراعي.

¹ - المقرئ، أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر بيروت، ط 1، 1419هـ/1998م، 1/121.

² - المقرئ: المصدر نفسه، 1/121.

³ - أحمد عطية: القاموس الإسلامي، م 4/53.

⁴ - الإصطخري: المصدر نفسه، 36.

⁵ - ينظر الملحق رقم 14.

⁶ - الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: كتاب الجغرافية تح محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة بور سعيد-د.ت.ط، 140.

وتعد المنطقة الجنوبية الغربية من الأندلس أكثر المناطق حظوظا حيث يسودها مناخ البحر المتوسط ذو الميزات السابقة، مما ساعدها على وجود زراعات مختلفة وألوان متعددة في المحاصيل؛ هذا ما شجع كل فئات المجتمع على الإقامة في تلك المناطق واستثمارها على أحسن وجه.

فقد كانت تحيط بطليطلة، وهي قاعدة الثغر الأدنى، الكثير من البساتين ووجود العديد من أوجه الفواكه والطعوم المختلفة.

وقد ذكر غير واحد من المؤرخين والجغرافيين حسان وخيرات طليطلة وجميع المدن والقرى والحصون التابعة لها، مستجمعين في ذلك الوصف الشامل لها، حيث جاء وصفهم بألفاظ متقاربة وعبارات متشابهة مثل قولهم: "لمدينة طليطلة بساتين محدقة بها وأنهار مخترقة ورياض وجنان"¹.

وكذا وصفهم للغلات والزروع بأسمائها ومكان وجودها بالمداين والقرى، ومكان تحصيلها مما أوجد نوعا من الاستقرار الاقتصادي والذي شجع بدوره على إقامة تجمعات اقتصادية كالأسواق لبيع هذه المحاصيل.

ووجود الأسواق وازدهارها والإقبال عليها من جميع أقطار الأندلس ومن خارج الأندلس ما شجع على إقامة الفنادق والحمامات وظهور نوع من الحياة الرغيدة في تلك المنطقة؛ وقد اشتهرت بذلك كل من: "طليطلة وطلبيرة ومدينة سالم"².

وقد كان للمجاري المائية وعلى رأسها نهر التاجه الدور الكبير كذلك في وجود نوع من الصناعة الزراعية وهي الطواحين أو الرحاء، والتي كانت موجودة بالعدد الكثير حيث بلغ: "عدها بمدينة طلبيرة وحدها عشرون رحي"³، وكذلك بمدينة وابذة⁴.

¹ - الإدريسي: المصدر نفسه، 276. الحميري: المصدر نفسه، 394، المقري: المصدر نفسه، 1/ 140.

² - الإدريسي: المصدر نفسه، 277.

³ - الحميري: المصدر نفسه، 395.

⁴ - البكري: المصدر نفسه، 88. الحميري: المصدر نفسه، 607.

ومعظم المنتجات الزراعية كانت تلك التي للمجتمع فيها حاجة، وعلى رأسها القمح، والتي اشتهرت به مدينة طليطلة، حيث جاء في وصفه: "أن حنطتها لا تسوس على مر السنين يتوارثها الخلف عن السلف"¹؛ ويذهب الزهري إلى أن القمح بطليطلة: "يبقى فيها سبعين وثمانين ومائة سنة وأكثر لا يسوس"².

وقد اشتهرت الكثير من المدن والقرى والحصون بالشيء الكثير من الغلات الأخرى ذات النفع العميم، والحدائق الغناء والبساتين وارفة الظلال وضياح طيبة وعجيبة؛ ومن أشهر الغلات: "الزعفران الذي كان يحمل إلى البلدان البعيدة وخاصة ما تصدره طليطلة"³، ووادي الحجارة فقد كان: "بها غلات الزعفران الشيء الكثير... ويحمل إلى سائر العمالات والجهات"⁴، وأشهر ما كان فيها من الزروع والفواكه: "شجرة التين والكروم"⁵؛ وذلك راجع إلى نقاء الطبيعة ونظافة المحيط ووفرة الماء العذب مع شدة الحرارة في فصل الصيف، كل هذه العوامل مجتمعة جعلت من الزروع والفواكه المنتجة في هذه المناطق ذات قيمة عالية ونوعية رفيعة وبالخصوص في مدينة قورية والتي يصفها الإدريسي بأنها "ضياح طيبة عجيبة وأصناف من الفواكه كثيرة، وأكثرها الكروم وشجرة التين"⁶.

ومن عجائب ما اختصت به مدينة طليطلة في تلك الفترات، أن قرية ليست ببعيد منها، تسمى بمغام، كان بها نوع من الطين محصورة في جبالها يؤكل وينظف به ويغسل الشعر به، ويصدر إلى خارج بلاد الأندلس حتى أنه كان يصل إلى مصر وبلاد الشام والعراق وبلاد الترك وذلك لشهرته، حتى أن المؤرخين والجغرافيين لما ذكروا مثل هذه الأعاجيب وصفوها بأنها: "نهاية في لذادة الأكل وفي تنظيف وغسل الشعر"⁷.

¹ - الحميري: المصدر نفسه، 394. المقرئ: المصدر نفسه، 1/ 29.

² - الزهري: المصدر نفسه، 83.

³ - البكري: المصدر نفسه، 88. الحميري: المصدر نفسه، 394.

⁴ - الإدريسي: المصدر نفسه، 277. الحميري: المصدر نفسه، 606.

⁵ - الحميري: المصدر نفسه، 606.

⁶ - الإدريسي: المصدر نفسه، 270. الحميري: المصدر نفسه، 485.

⁷ - الإدريسي: المصدر نفسه، 276. الحميري: المصدر نفسه، 394.

كما امتازت جبال طليطلة بوجود العديد من المعادن ذات النفع العام والكبير والتي تستخدم خاصة في الصناعات اليدوية والحربية ومنها الحديد والنحاس على ما ذكره الإدريسي والحميري¹. ويوضح صاحب الحل السندسية ذلك توضيحا بينا، حيث يحدد محاسن وجود مثل هذه المعادن في طليطلة بأن جعلتها: "مدينة علم وصناعة، وفيها أحسن معامل السلاح"²، وخاصة معمل السيوف الذي كان متمركزا: "على ضفة نهر تاجه"³.

هذا الامتياز لجبال طليطلة لم يقتصر نفعه على وجود المعادن فقط، بل تعداه إلى أن جعلت محميات طبيعية تأوي إليها وفي أكنافها الخيرات الحسان من الثروة الحيوانية وبخاصة الأغنام والأبقار؛ فقد كانت هذه الثروة الحيوانية مضرب المثل في أقطار الأندلس كافة وحتى خارجه، وذلك بما امتازت به من سمرة ونوعية، حتى أضحت محط أنظار الجلابيين من جميع أقطار الأندلس.

ومما تقدم من ذكر ووصف للخيرات الموجودة في مدينة طليطلة وجميع عمالاتها سواء الزراعية منها أو الزراعية الصناعية أو الصناعية أو حتى الثروة الحيوانية مما يجعل هذه المدينة وعمالاتها محط أنظار كل حكام النصارى الذين كانت لهم حدود متاخمة لها في ممالكهم وبخاصة مملكة قشتالة ومملكة ليون.

د/الجغرافيا البشرية: شهد القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي حالة تمزق سياسي أثرت على الحياة الاجتماعية، حيث انفكت من جديد العناصر البشرية الأندلسية واقتطعت إمارات على أساس عرقي عسبي، فتظهر طليطلة بمجتمعها المتباين حيث يشير المؤرخ الفرنسي أندري كلو (André Clot) أن طليطلة جديرة بتسمية عاصمة الديانات الثلاث: الإسلام، المسيحية واليهودية⁴. وكما

¹ - الإدريسي: المصدر نفسه، 276. الحميري: المصدر نفسه، 394.

² - شكيب أرسلان: الحل السندسية، 364/1، 432، 440.

³ - شكيب أرسلان: المرجع نفسه، 364/1، 432، 440.

⁴ Clot André : L' Espagne musulmane 8-15siècle, éditions Perrin Paris, décembre 2004. 337

سيجيء عرضه في هذه الجزئية للعناصر المكونة للمجتمع الطليطي، ونبدأ بالمسلمين.

د-1/ **البربر**: كان للبربر دور كبير في عملية الفتح حيث استوطنوا المناطق الشمالية المتاخمة للنصارى، فأقام موسى بن نصير بقبائل البربر: "جدارا دفاعيا لحماية ثغور دار الإسلام من اعتداءات النصارى"¹، وظلوا في طليطلة وأعمالها إلى أن سقطت في أيدي النصارى فهاجر الكثير منهم إلى أنحاء الأندلس وبالخصوص إلى الجنوب.

ومن خلال المصادر التاريخية يمكن استخلاص أسماء القبائل البربرية التي استقرت في طليطلة وأعمالها فيذكر الاصطخري: "كتامة وزناتة ومصمودة... وصنهاجة... ونفازة ومكناسة... وهوارة"²، وهذه جملة القبائل المعروفة في الأندلس إلا أن ابن حزم في كتابه جمهرة أنساب العرب يحدد اسم ومكان كل قبيلة في طليطلة وأعمالها، فتظهر زناتة ومنها: "بنو عزون، الأمراء بشنت برية"³، وتظهر قبيلة هوتوتة ومنها: "بنو الفرج من واد الحجارة"⁴، أما قبيلة هوارة فمنها: "بنو ذي النون أمراء إقليش ووبذة"⁵، وقبيلة مصمودة منهم: "بنو سالم الذي تنسب إليهم مدينة سالم"⁶.

ونستخلص من هذا أن كتلة بربرية ضخمة تضم هوارة ومصمودة وزناتة كانت تمثل أغلب سكان طليطلة وأحوازها وهذا الذي جعل مقاليد الحكم للبربر دون العرب؛ والمعروف تاريخيا والذي سبق ذكره أن أمراء بني أمية وخلفاءهم جعلوا للثغور قادة من البربر: "ومن غير الممكن أن تقوم إمارة بربرية في ناحية لا يغلب على سكانها العنصر البربري"⁷، فما كان للملك أن يقيم في تلك المنطقة لولا

¹ -بوابية عبد القادر: البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري(الحادي عشر ميلادي)75.

² -الاصطخري:المصدر نفسه 36.

³ - ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد: جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1418هـ-

1998م، 499.

⁴ - المصدر نفسه، 499.

⁵ - المصدر نفسه، 500.

⁶ - المصدر نفسه، 501.

⁷ -حسين مؤنس: المرجع نفسه، 383.

لولا العصبية حيث يقول ابن خلدون: "إن كانت فيه بيوتات مفترقة وعصبيات متعددة فلا بد من عصبية تكون أقوى من جميعها تغلبها وتستتبعها وتلتحم جميع العصبيات فيها وتصير كأنها عصبية واحدة كبرى"¹، ومن هذا الباب جاءت الرئاسة والملك للعنصر البربري في تلك المناطق.

د- 2/العرب:

ضمت الأندلس نسبة عالية من العرب الفاتحين من العدنانيين والقحطانيين، فلا تخلو مدينة من المدن المفتوحة من جذمي العرب الكبارين العدنانيين والقحطانيين بل: "الأغلب أن نجد قبائلهم متجاورة في كل ناحية تقريباً"²، وهذا ما يلاحظ عند تفحص المصادر التاريخية فمدينة طليطلة وأعمالها جمعت الجذمين فيذكر ابن غالب برواية المقرئ: "أما المنتسبون إلى عموم كنانة فكثيرهم أو جلهم في طليطلة وأعمالها"³، وأما مدينة طليطلة فنجد فيها قبيلة بني عوف⁴ (العدنانية) ومنهم الزبارقة حيث كانت لها السيادة على المدينة، وقبيلة بني مخزوم أهل حصن المدور⁵ كما يذكر ابن غالب برواية المقرئ دائماً أنه: "كان جزء الأنصار بناحية طليطلة"⁶ وهم من القحطانيين.

والملاحظ كذلك أن العرب استقروا على طول خطوط الفتح، لكن نسبة كثافتهم السكانية في المناطق الجبلية قليلة، بل كانوا: "يفضلون دائماً البساتن والمنخفضات والنواحي الدافئة والقليلة المطر في الجنوب والشرق والغرب"⁷، وهذا لا يتماشى والموقع الجغرافي لمدينة طليطلة وأعمالها مع العرب إلا القلة منهم.

¹ -ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد: مقدمة بن خلدون ضبط وشرح وتقديم د. محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي بيروت -لبنان 1425هـ/2005، 139.

² مؤنس حسين: المرجع نفسه 371.

³ المقرئ: المصدر نفسه، 231/1.

⁴ ابن حزم: المصدر نفسه، 218.

⁵ المقرئ: المصدر نفسه، 231/1.

⁶ -المقرئ: المصدر نفسه 234/1.

⁷ بوباية: المرجع نفسه، 73.

د-3/المولدون:

يطلق هذا المصطلح على المنحدرين من الأصول الإسبانية، وقد كانت طليطلة: " من أهم مراكز العصبية المولدة ودعوى المولدين"¹، فكانوا يتعصبون لأصلهم الإسباني زمن الإمارة وجزء من الخلافة، لكن ما إن حل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشرة الميلادي حتى: "تم التمازج بين تلك العناصر"².

د-4/أهل الذمة:

يطلق هذا اللفظ على الرعايا غير المسلمين، والذين يعيشون تحت كنف الدولة الإسلامية، فيعطون الجزية مقابل الحماية، وقد كان للعنصر اليهودي الدور البارز في الدولة الإسلامية، حيث قام موسى بن نصير بضم: "يهود طليطلة"³، وأوكل لهم: "حماية المدينة"⁴، وكان وجودهم منذ العصر القوطي في كثير من المدن الأندلسية: "وفي طليعتها طليطلة"⁵، حيث تتزايد نسبتهم وكثافتهم حيث النشاط الاقتصادي: "ولاسيما النشاط التجاري الذي برع اليهود في مغماره"⁶، كما قام اليهود بترجمة الكتب العربية إلى العبرية واللاتينية.

أما نصارى طليطلة فلم يتغير من حالهم شيء منذ الفتح، بل واصلوا ممارسة شعائهم الدينية وقرع النواقيس والاحتفال بأعيادهم الدينية، وبقيت الأديرة قائمة ومعاملاتهم التجارية سائرة، وأطلق عليهم اسم موزاراب (MOZARABES)،

¹ سالم السيد عبد العزيز: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1999، 129.

² خلاف محمد عبد الوهاب: قرطبة الإسلامية الدار التونسية للنشر، تونس، [د.ت.ط]، 235.

³ مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، تح إسماعيل العربي المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، 10.

⁴ Lévi-Provensal opcit38.

⁵ بودشيش إبراهيم القادري: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين دار الطليعة بيروت، ط1، 1998، 92.

⁶ أحمد علي: اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، مجلة آفاق الثقافة والتراث دبي، الإمارات السنة الخامسة العدد 17، محرم 1418/مايو 1997، 59.

وتقلدوا وظائف كثيرة، لكن أهمها كانت الترجمة حيث صارت مدينة طليطلة مدينة المترجمين ومركز إشعاع ثقافي استفادت منه بالدرجة الأولى أوروبا. ولم ينس النصارى بأن طليطلة عاصمتهم الدينية القديمة، ومركز الأساقفة، قد أضحى بيد المسلمين، لذلك كانوا يحنون إلى مثل هذا التاريخ الكنسي الذهبي، مع محافظتهم بمشاعرهم النصرانية وغرسها في نفوس الأجيال المتتالية، حتى طال عليهم العهد، فحَفَّتَ ذلك الإكبار والتمجيد للدولة الإسلامية عامة في نفوسهم، ويتجلى ذلك واضحا في قول فردناند لما اضطربت أحوال أهل طليطلة بالحملات المتكررة: "...فإنما نطلب بلدنا التي غلبتمونا عليها قديما في أول أمركم، فقد سكنتموها ما قضي لكم، وقد نصرنا الآن عليكم برداءتكم فارحلوا إلى عدوتكم، واتركوا لنا بلدنا... ولن نرجع عنكم أو يحكم الله بيننا وبينكم"¹.

¹ - ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، [د.ت.ط]، 282/3. أرسلان: المرجع نفسه، 442/1.

المبحث الثاني: الموقع الجغرافي لمملكة سرقسطة قاعدة الثغر
الأعلى : 400-512هـ / 1010-1118م.

أ/ حدود مملكة سرقسطة

ب/ الجغرافية الطبيعية

ج/ الجغرافية الاقتصادية

د/ الجغرافية البشرية

أ/حدود مملكة سرقسطة:

تقع مملكة سرقسطة¹ في أقصى الشمال الشرقي للدولة الإسلامية بالأندلس، تحيط بها عدة ممالك نصرانية، فتحدها من الشمال مملكة قطلونيا ومملكة أراغون، ومن الشمال الغربي مملكة نبرة، ومن الشرق بحر الروم، ومن الغرب مملكة طليطلة لكن بعد سقوط هذه الأخيرة (478هـ/1085م)، أصبحت حدودها الغربية مع مملكة قشتالة؛ أما من الناحية الجنوبية بإمارة السهلة ومملكة بلنسية الإسلاميتان وتعد إمارة السهلة المنفذ البري الوحيد لمملكة سرقسطة مع باقي الممالك الإسلامية.

وقد ذكرت المصادر الجغرافية وكذا المراجع، أن مملكة سرقسطة كبيرة القطر²؛ دون تحديد مساحتها، حيث الطول إحدى وعشرون درجة وثلاثون دقيقة³، وزاد القلقشندي والعرض اثنتان وأربعون درجة وثلاثون دقيقة⁴. تتمركز مدينة سرقسطة عاصمة الثغر الأعلى في الوسط، يحدها من الشرق وشقة⁵، وتعرف كذلك بأشقة، ومن الغرب مدينة تطيلة⁶، وهي أقصى ثغور المسلمين⁷، ومن الجنوب الغربي قلعة أيوب. هذه الحدود المتفق عليها قبل سقوط مملكة طليطلة في يد النصارى، لتتحول كل أعمال سرقسطة الواقعة من جهتها الغربية إلى منطقة ثغرية. وتضم مملكة سرقسطة مجموعة من الأعمال جعلها البكري في الجزء الثالث من

¹ - سرقسطة: بفتح أوله وثانيه ثم قاف مضمومة وسين مهملة ساكنة وطاء مهملة. الحموي: المصدر نفسه، 240/3.

² - الإدريسي: المصدر نفسه، 278. الحميري: المصدر نفسه، 317. أرسلان: المرجع نفسه، 116/2.

³ - ابن سعيد: المصدر نفسه، 180.

⁴ - القلقشندي: المصدر نفسه، 232/5.

⁵ - وشقة: بفتح أوله وسكون ثانيه والقاف: بليدة بالأندلس. الحموي: المصدر نفسه، 433/5.

⁶ - تطيلة: بالضم ثم الكسر، وياء ساكنة ولام. الحموي: المصدر نفسه، 39/2.

⁷ - الإصطخري: المصدر نفسه، 36. ابن غالب، محمد بن أيوب: كتاب فرحة الأنفس، تح لطفني عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة. رمضان 1374هـ/ماي 1955م. مج 1، ج 1، 287/1. الحميري: المصدر نفسه، 133.

مدينة طركونة¹، وأضاف إليها مدينة سرقسطة وأشققة ولاردة²، وطرطوشة³، وطرطوشة³، وتطيلة وأعمال بلاد شانجو كلها، وبلد بلياسن وبرشلونة وجرندة⁴ إلا إلا أن المسلمين قد خسروا الكثير من الأعمال في عصر الطوائف الأول (238-300هـ/852-912م) ولم يبق إلا الأعمال المتفق عليها في المراجع وهي: تطيلة وشقة، برئشتر⁵، لاردة، وإفراغة⁶، وطركونة وطرطوشة⁷.

ب: الجغرافية الطبيعية.

تقع مدينة سرقسطة، قاعدة الثغر الأعلى، على الضفة اليمنى لنهر إيرو على ارتفاع 184م عن سطح البحر⁸، وبالرغم من أن جبال سرقسطة المعروفة بجبال بربال البرينيه أو البرنات، تقع على مسافة معتبرة من المدينة في حد ذاتها إلا أن لها الأثر الكبير على مناخها، وذلك راجع إلى ارتفاع هذه الجبال حيث يتراوح ما بين 3355م إلى 3404م، وهي الحد الفاصل بين جزيرة الأندلس والأرض الكبيرة.

وقد ذكر المقرئ عن الشيخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي، أحد جغرافيين الأندلس، أن سرقسطة تقع في الجانب الشرقي حيث: "تجري أوديته إلى الشرق وأمطاره بالرياح الشرقية"⁹.

فيسود سرقسطة وأعمالها نوعان من المناخ، مناخ غرب أوروبا ومناخ البحر المتوسط، مما أدى إلى تنوع الأقاليم النباتية، فقد حددها الإدريسي في ثلاث أقاليم:

¹ - طركونة: بفتح أوله وثانيه وتشديده وضم الكاف وبعد الواو الساكنة نون. الحموي: المصدر نفسه، 36/4.
² - لاردة: بالراء مكسورة والذال المهملة. الحموي: المصدر نفسه، 7/5.
³ - طرطوشة: بالفتح ثم السكون ثم طاء أخرى مضمومة وواو ساكنة وشين معجمة. الحموي: المصدر نفسه، 34/4.
⁴ - البكري: المصدر نفسه، 61-62.
⁵ - برئشتر: بضم الباء الثانية وسكون الشين المعجمة. الحموي: المصدر نفسه، 441/1.
⁶ - إفراغة: بكسر الهمزة والغين معجمة. الحموي: المصدر نفسه، 269/1.
⁷ - عنان: المرجع نفسه، 265/3.
⁸ - عطية أحمد: المرجع نفسه، 309/3.
⁹ - المقرئ: المصدر نفسه، 121/1.

"إقليم أرنيط وفيه من البلاد قلعة أيوب، وقلعة دروكة، ومدينة سرقسطة، وتطيلة ثم يليه إقليم الزيتون وفيه جاقة ولاردة ومكناسة وإفرغة، ويليه إقليم البرتات وفيه طرطوشة وطركونة"¹.

أما بقية أعمالها، فهي إما أن تكون على سفوح التلال، مثل لاردة والتي تقع على تل عال على الضفة اليمنى لنهر إيرو"²؛ وتطيلة على "السفوح الشرقية لجبل قريب من الضفة اليمنى لنهر إيرو"³. وإما أن تكون على ساحل البحر مثل طركونة وأما طرطوشة فهي تقع على سفح جبل⁴، وقريبة من البحر⁵. وإما أن تكون على ضفاف الأنهار مثل وشقة وإفرغة وبربشتر.

ج: الجغرافية الاقتصادية.

تعد مدينة سرقسطة قاعدة الثغر الأعلى المركز أو المحور لمجموعة من الأعمال، حيث نجد أعمالها تتوزع ما بين مناطق سهلية وأخرى جبلية وثالثة بحرية، وتخضع إلى نوعين من المناخ، مما أدى إلى تنوع في الثروات والخيرات. وقد جمعت سرقسطة أو المدينة البيضاء⁶ عدة مزايا وخصائص اقتصادية حيث تنتج وتصنع وتسوق منتوجات زراعية وصناعية وحربية واشتهرت بكثرة أراضيها التي كانت، متصلة الجنات والبساتين⁷، فيغلب على الناظر إليها أنها زمردة بيضاء في الوسط يحيط بها طوق أخضر، وقد جسد هذه الصورة القلقشندي في وصفها حيث يقول: "سرقسطة أرض طيبة قد أهدقت بها من بساتينها زمردة خضراء"⁸.

¹ - الإدريسي: المصدر نفسه، 261.

² - بالباس ليوبولد توراس: المدن الإسبانية الإسلامية، تر: إليو دورودي لابنبا، ط1، 1423هـ/2003م، 94.

³ - بالباس: المرجع نفسه،

⁴ - الإدريسي: المصدر نفسه، 279. الحموي: المصدر نفسه، 34/4.

⁵ - ابن غالب: المصدر نفسه، 285.

⁶ - الإدريسي: المصدر نفسه، 278. الزهري: المصدر نفسه، 81. الحميري: المصدر نفسه، 317.

أبو الفدا: المصدر نفسه، 181. عطية الله أحمد: المرجع نفسه مج 3/309.

⁷ - الحميري: المصدر نفسه، 317.

⁸ - القلقشندي: المصدر نفسه، 232/5.

ولقد كان إنتاج البساتين للعديد من الفواكه ما أهلها أن يكون، لها فضل على سائر فواكه الأندلس¹، وترجع جودتها إلى عدة أسباب أهمها نوعية التربة وانعدام الحيات بجميع أشكالها وأنواعها، حيث: "لا تدخلها حية البتة وإن جلبت إليها وأدخلت المدينة ماتت وحيناً بلا تأخر"².

ويمكن تفسير ظاهرة موت الحيات بوجود معدن الملح الإندراني³؛ هذا الأخير هو أبيض صافي اللون أملس خالص⁴، يدخل في مكونات التربة فيسهل نفوذه إلى جلد الحيات فتتغلق المسامات فيصعب تنفسها فيحدث لها اختناق فتموت.

وتظهر ظاهرة أخرى حيث تختفي ظاهرة التسوس والتعفن في الحبوب والفواكه، فيذكر الزهري أنه رأى العنب المعلقة من ستة أعوام وأقل وأكثر، والتين اليابس والحب والإجاص والخوخ... الفول والحمص من عشرين سنة وأكثر⁵؛ مما يؤكد أن أهل الأندلس على دراية كبيرة بطريقة حفظ المواد الغذائية.

ولا يمكن أن نتجاهل العنصر الأساس لنمو النبات وهو الماء حيث أن سرقسطة مبنية على نهر كبير هو نهر إبره، مما ساعد في عملية الري والسقي. فهذا واد كالمش⁶، الذي تستفيد منه مدينة تطيلة المدينة الثغرية التي تزخر بكثرة الثمار⁷ والفواكه⁸.

ويذكرها الحميري أن خيراتها وبركاتها لا تعد ولا تحصى وذلك بما تميّزت به من تربة زراعية خاصة حيث: "يجود زرعها ويدرّ ضرعها وتطيب ثمرتها وتكثر بركتها"⁹.

¹- الحموي: المصدر نفسه، 240/3. دائرة المعارف الإسلامية، مج 367/11.

²- الإدريسي: المصدر نفسه، 278. الزهري: المصدر نفسه، 82. الحميري: المصدر نفسه، 317. عطية الله أحمد: المرجع نفسه مج 309/3.

³- ابن غالب: المصدر نفسه، 287. الحميري: المصدر نفسه، 317. أرسلان: المرجع نفسه، 120/2.

⁴- أرسلان: المرجع نفسه، 120/2.

⁵- الزهري: المصدر نفسه، 82. مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تح لويس مولينا، المجلس الأعلى للبحث العلمي، مركز ميغال أسين، مدريد. 1983، 71/1. أرسلان: المرجع نفسه، 116/2.

⁶- الحميري: المصدر نفسه، 133.

⁷- ابن غالب: المصدر نفسه، 287.

⁸- الزهري: المصدر نفسه، 82.

⁹- الحميري: المصدر نفسه، 133.

ونجد نهر شنفير¹ والذي تقع مدينة لاردة على شرقه بها بساتين وفواكه غزيرة².

وغير بعيد عن مدينة لاردة، نجد مدينة وشقة التي ذكرها الزهري أنها قليلة الثمار والفاكهة والبساتين³؛ في حين يذكرها الحميري: "أن بها نهر يشق مدينتها... وتسقى بفضلها مائة بساتين... ويحيط بها من جنباتها جنات مغروسة وحدائق من الثمار ملتفة وهي مخصوصة بطيب الكمثري والزعرور"⁴.

فهذا لا ينفي قلة الفاكهة كما ذكر الزهري وإنما امتيازها دون سائر المدن (الأعمال) بنوعين من الفاكهة هما الكمثري والزعرور.

وقد اشتهرت مدينة أفراغة وفي بعض المصادر أفراغ، الواقعة على نهر الزيتون⁵ بكثرة أشجار الزيتون فكانت بها: "بساتين لا نظير لها"⁶، وكذا أشجار الزعفران⁷؛ وقد ساعد ذلك على إقامة مزارع لتربية النحل وإنتاج العسل، فقد كان كان بها: "عسل كثير"⁸.

ساعدت وفرة المواد الزراعية والحيوانية على إقامة العديد من أوجه الصناعات، سواء النسيجية ومنها صناعة السّمور، وهي الثياب الرقيقة المعروفة بالسرقسطية وهي خصوصية لأهل هذا الصقع⁹، وصناعة الكتان الذي كان: "يتجهز به إلى جميع نواحي الثغر"¹⁰، واختصت بذلك مدينة لاردة.

أو الصناعات المعدنية وعلى رأسها معدن الذهب الذي كان موجودا على ضفاف نهر شنفير، الذي كانت تستخرج منه: "برادة الذهب الخالص"¹¹ والتي كانت تستعمل في المعاملات التجارية وسك النقود.

¹ - مؤلف مجهول: المصدر نفسه، 72.

² - الحميري: المصدر نفسه، 508.

³ - الزهري: المصدر نفسه، 82.

⁴ - الحميري: المصدر نفسه، 612.

⁵ - ابن غالب: المصدر نفسه، 286.

⁶ - الحميري: المصدر نفسه، 48.

⁷ - مؤلف مجهول: المصدر نفسه، 71.

⁸ - مؤلف مجهول: المصدر نفسه، 71.

⁹ - أرسلان: المرجع نفسه، 121/2.

¹⁰ - الحميري: المصدر نفسه، 508.

¹¹ - الحميري: المصدر نفسه، 508. مؤلف مجهول: المصدر نفسه، 72.

أما بقية الأعمال الواقعة على شاطئ البحر أو بالقرب منه فقد اقتصت بنوع من الصناعات الخاصة جداً، فمدينة طركونة الواقعة على الساحل البحري كانت "أكثر البلاد رخاما"¹، كما استعملت مياه البحر في إقامة أرح². لكن المدينة الساحلية التي كانت أكثر استقطاباً للتجار هي مدينة طرطوشة حيث يوجد بها أسواق وعمارات وصناعات³، وتحتل الصدارة في صناعة الخشب حيث تزخر جبالها "بخشب الصنوبر الذي لا يوجد له نظير في الطول والغلظة... وهذا الخشب... أحمر صافي البشرة دسم لا يتغير سريعاً ولا يفعل فيه التسوس ما يفعله في غيره"⁴.

وتظهر فائدة الخشب الممتاز في صناعة الصواري⁵، وإنشاء المراكب الكبار⁶؛ والتي تستغل كهمة وصل بين المشرق وبلاد الفرنجة في نقل البضائع المختلفة، بالإضافة إلى دور الحماية ضد الأخطار الخارجية.

كما كان لمدينة طليطلة قاعدة الثغر الأدنى صناعات حربية متنوعة، نجد كذلك أن مدينة وشقة هي دار صنعة، وتمثلت في: "الدروع والبيضات الرشيقة وآلات النحاس والحديد"⁷.

مما تقدم يؤكد لنا أن الثغر الأعلى كان زاخراً بالموارد الاقتصادية المتنوعة، هذه الأخيرة كانت من: "أهم الأسباب التي أدت إلى وقوع عدة معارك خلال فترات تاريخية متعددة"⁸؛ لكن خطرها الحقيقي تمثل في مملكة أراغون.

د: الحغرافية البشرية.

¹ - الحميري: المصدر نفسه، 392.

² - مؤلف مجهول: المصدر نفسه، 72.

³ - الإدريسي: المصدر نفسه، 279. الحميري: المصدر نفسه، 391.

⁴ - الإدريسي: المصدر نفسه، 279.

⁵ - الإدريسي: المصدر نفسه، 279.

⁶ - الحميري: المصدر نفسه، 391.

⁷ - الزهري: المصدر نفسه، 82.

⁸ - الموسوعة العسكرية: الهيثم الأيوبي وآخرون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط3 1990،

عرفت منطقة الثغر الأعلى منذ الفتح إلى عصر الطوائف، وذلك خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، سيطرة العنصر العربي على كافة العناصر البشرية الأخرى؛ فهي:

د1/ العرب: تولى حكم الثغر الأعلى أثناء الفتح القبائل "القحطانية وهم المعروفون باليمانية... وهم بالأكثر بالأندلس، والملك فيهم أرسخ"¹ وتجلى ذلك في طالعة بلج بن بشر، حيث استقروا في ناحية سرقسطة وضواحيها فمنهم "بنو عبد الدار بن قصي... بسرقسطة بقرية قُرْبَان"². واشتركت معهم في الأرض "بنو كعب كعب بن الخزرج بن حارثة"³، كما استقرت بنو أُشْرَس بن كندة⁴، وأبناء عمومتهم عمومته بنو تجيب وكانت منازلهم بـ"سرقسطة ودروقة وقلعة أيوب"⁵، بالإضافة إلى "بني عُدرة بالأندلس... ومنهم بنو فُوارِثِش، ولهم عدد بسرقسطة"⁶. كما نجد من القبائل اليمانية "من ينسب إلى جُذام... ومنهم بنو هود ملوك شرقي الأندلس"⁷. فالملاحظ أن القبائل اليمانية استقرت بالخصوص في المناطق الخصبة من "حوض ابرة حول سرقسطة في منطقة واسعة تشمل حوض نهر جليق ونهر الحمّة"⁸.

لكن الحكم لم يبق للقبائل العربية بل كان بين مد وجزر بين العنصر العربي وعنصر المولدين، مما كانت له تأثيرات على الساحة السياسية في الأندلس.

د2/ المولدون: استقرار العرب في الأندلس والمكوث بها من أجل المحافظة على أمنها وسلامتها من الأخطار الخارجية استدعى المصاهرة والتزواج مع أهل البلاد، فنتج جيل جديد عرف باسم المولدون.

¹ - المقرئ: المصدر نفسه، 233/1.
² - ابن حزم: المصدر نفسه، 124-126.
³ - ابن حزم: المصدر نفسه، 365.
⁴ - ابن حزم: المصدر نفسه، 429.
⁵ - ابن حزم: المصدر نفسه، 340.
⁶ - ابن حزم: المصدر نفسه، 450.
⁷ - المقرئ: المصدر نفسه، 235/1.
⁸ - مؤنس، حسين: فجر الأندلس، 371.

ومع مرور الزمن كان منهم الأمراء بالخصوص في منطقة الثغور، فمنهم " بنوقسي بتطيلة... بنو عمروس بوشقة، بنو شبراط وهم بنو الطويل بوشقة وبربشتر"¹. فقد حكموا منطقة الثغر الأعلى ونواحيها في عصر الإمارة حتى زمن عصر الطوائف الأول، إلا أن الحكم لم يستمر فيهم وانتقل إلى بني تجيب في عصر الخلافة ثم بني هود الجذاميين في عصر الطوائف. فقد تمركز المولدون زمن الإمارة والخلافة كخط دفاعي ناحية الشمال الشرقي المواجه للمماليك النصرانية.

د3/ البربر: سبق الذكر في المبحث السابق أن البربر لما دخلوا الأندلس استقروا على الخط الشمالي والشمال الغربي، أما في الشمال الشرقي فلا نجد لهم ذكرا في المصادر إلا عند الاصطخري حيث يقول: "مكناسة فهم بالأندلس بين الجلافة وبين مدينة قرطبة"²، ويمكن تدعيم ما ذهب إليه الاصطخري ما ذكره الزهري في كتابه الجغرافية عن منطقة تسمى مكناسة³، أنها تقع على نهر والمعروف عند أهل الاختصاص أن مكناسة قبيلة بربرية زناتية من البربر. وقد ذكر بوباية في رسالته أن سرقسطة تتميز بضعف الوجود البربري أما المناطق الأخرى فقد ذكرها أنها "تكون خطأ واحدا يبدأ من نواحي جبال البرت عند لاردة ووشقة"⁴، وكلاهما منطقتان ثغريتان مصابغة للمماليك النصرانية.

د4/ أهل الذمة: بعد فتح مدينة طليطلة انتقلت الجيوش الإسلامية إلى سرقسطة عاصمة أراغون، وتم فتحها على يد موسى بن نصير، مما استوجب فرض الجزية على أهل الذمة مقابل الحماية، وتقدمت الجيوش إلى المدائن الأخرى ففتحت دون عناء وخضع النصارى لحكم المسلمين دون إثارة مشاكل.

¹ - ابن حزم: المصدر نفسه، 499.

² - الاصطخري: المصدر نفسه، 36.

³ - الزهري: المصدر نفسه، 82.

⁴ - بوباية: المرجع نفسه، 75.

في حين نجد أن مدينة وشقة استتبست في الحصار ضد المسلمين الذين " بنوا عليها المساكن وغرسوا الغروتين وحرثوا لمعايشهم واتصل ذلك من فعلهم سبعة أعوام"¹، لكن نهاية النصارى كانت بالاستسلام وأداء الجزية للمسلمين. عامل المسلمون أهل الذمة بما شرعه القرآن الكريم والسنة النبوية فقد حافظوا على كنائسهم وبيوتهم مع حاراتهم الخاصة، بالإضافة إلى توظيفهم في السلك السياسي والإداري؛ ولهذا نجد أن بعد سقوط سرقسطة في 512هـ/1118م ظل صناعا من المسلمين يسكنون المدينة ويرجع ذلك إلى أن لهم " علاقات وطيدة مع المسيحيين من أهل سرقسطة"².

أما اليهود فكان حظهم لا يقل أهمية عن النصارى بل رفع المسلمون من قيمتهم الاجتماعية وسمحوا لهم بممارسة جميع المهن دون قيود، على عكس ما فعله القوط. ولم يكن لهم وجود في الميدان الإداري إلا في زمن ملوك الطوائف، أين تمكن العنصر اليهودي " بذكاء وحسن تدبير من الدخول إلى أعماق وكيان حكام دول الطوائف... وحاول هؤلاء اليهود في خلال المناصب التي شغلوها الإساءة للعرب وذلك بالوقوف ضد مصالحهم الوطنية والاقتصادية والإنسانية العامة"³. وساعدهم على ذلك انتشارهم في الكثير من المدن الإسبانية، ومنها سرقسطة⁴، وكانت أكبر مدينة لاستقطابهم في الثغر الأعلى مدينة طرُقونة (طركونة) " مدينة اليهود"⁵؛ وهي مدينة تجارية كما سبق ذكرها فقد اختصوا "بالتجارة العالمية خاصة مع المشرق الإسلامي"⁶.

وقد استعان الحكام المسلمون باليهود " في البلاط الملكي... ومعرفتهم باللغات العديدة ساعد على إقامة علاقات دبلوماسية مع الدول المجاورة"⁷ ويظهر الدور الخطير الذي لعبه اليهود زمن ملوك الطوائف أثناء جمع الضرائب والمكوس

¹ - الحميري: المصدر نفسه، 612.

² - أرسلان: المرجع نفسه، 117/2.

³ - أحمد علي: المرجع نفسه، 61.

⁴ - Clot : Op.cit 237.

⁵ - الإدريسي: المصدر نفسه، 280.

⁶ - Clot : Op.cit 238

⁷ - Clot : Op.cit 238.

وكذلك جمع الضرائب المفروضة من النصارى على المسلمين ما ألَّب عامة المسلمين عليهم ومنهم ابن حزم.

المبحث الثالث: الموقع الإستراتيجي للتغرين.

يعد الثغر الأعلى والثغر الأدنى بأعمالهما من أهم المناطق الاستراتيجية الخطيرة في الأندلس، وذلك لمصاقتهم للممالك النصرانية التي كانت وظلت هدفها الوحيد هو استرجاع أراضي الأندلس من يد المسلمين، وقد بذلت الدولة الإسلامية منذ قيامها جهوداً جبارة لردع الجيوش النصرانية، وجعلت من الثغرين جداراً دفاعياً لحماية ذاتها، ومما شجع على المحافظة على أمن الدولة وسلامتها من الأخطار الخارجية الموقع الإستراتيجي الذي تميّز به كلا الثغران.

فالكثير من المدن الإسلامية الأندلسية كانت قائمة عند الفتح، وقد راعت الأمم السابقة من الرومان، والقوط الأخطار الخارجية، فجعلت الحماية أول نقطة تراعى عند البناء، فكان اختيار أصعب موقع طبيعي بحيث تتوفر فيه: "المنعة والسلامة والحماية، واليسر والنفع والرخاء"¹.

وقد تحدث ابن خلدون عن مواقع المدن باختلاف وظائفها، سواء كانت حربية أو تجارية أو صناعية أو سياسية أو دينية، فجعل لها أسساً تنشأ عليها، فالمدن الحربية هدفها الأول هو الحماية، فقد جعلها إما: "على هضبة متوعدة من الجبل، وإما استدارة بحر أو نهر بها"².

ولا يكفي الموقع الطبيعي في ضمان الحماية، بل يجب أن تجعل لها سياجا من الأسوار و"الحصون والقلاع بدورها تخيرت موقعا طبيعيا يسهل الدفاع عنه"³.

فعاصمة الثغر الأدنى طليطلة مبنية على قمة صخرية، وهي من "أعظم مدن الأندلس وأشدّها مناعة"⁴، وحصانة⁵؛ ومما زاد في مناعتها نهر التاجه⁶ الذي يحيط بالمدينة من ثلاث جهات، ويشق النهر في هذا الموضع واديا عميقا فمن ثم كانت أهميتها الإستراتيجية⁷؛ فيتعذر الدخول إليها إلا من جهة الشمال، حيث "فتح

¹ - الشكعة مصطفى: الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته، الدار المصرية اللبنانية، ط3، 1413هـ/1992م، 65.

² - ابن خلدون: مصدر نفسه، 323.

³ - الفراء، طه عثمان وآخر: المدخل إلى علم الجغرافيا، دار المريخ الرياض، ط2، د.ت.ط، 335.

⁴ - ابن حوقل: مصدر نفسه، 106.

⁵ - الإدريسي: مصدر نفسه، 275. الحميري: مصدر نفسه، 393. أبو الفدا: مصدر نفسه، 177.

⁶ - ينظر الملحق رقم 14.

⁷ - عطية أحمد: المرجع نفسه، مج 4، 532.

فتح في هذا الصور الشمالي بابان أحدهما شرقي ويُعرف بباب القنطرة¹ لأنه يفضي إلى قنطرة وادي تاجه، وباب غربي يسمى بباب شاقة²؛ أما بقية الأعمال الواقعة على الهضبة والمحصورة "بواسطة أنهار أو غدران تستعمل خنادق مثل وبذة مدريد مدينة سالم"³، تعد مدنا عسكرية للدفاع والحماية وكذلك الحصار، "فهي على هيئة معسكرات مجهزة لهجوم مدينة أخرى"⁴.

فهذه مدينة سالم، آخر نقطة حدودية وقاعدة انطلاق المسلمين والمواجهة لمدينة قشتالة، تحتل موقعا إستراتيجيا، فهي "تشغل سطح أو هضبة واسعة على قمة ربوة مائلة صعبة وشاقة البلوغ على الضفة اليسرى للنهر على ارتفاع 1202م"⁵. فبناء هذه المدن على مواقع طبيعية صعبة، يُسهل المراقبة و"يصعب مهمة العدو المهاجم، وييسر مهمة المقيم دفاعا وصمودا"⁶؛ ولا يتطلب إلا الجهد اليسير من الدفاع خاصة إذا كانت هناك قيادة عسكرية محكمة، عارفة بأسس وقوانين النظم العسكرية الخاصة بنظام الثغور.

و يختلف الأمر في الثغر الأعلى وأعماله، عن الثغر الأدنى بعض الاختلاف حيث يتنوع موقعه الطبيعي ما بين الجبل والسهل والبحر، وهذه ميزة اختص بها الثغر الأعلى دون الأدنى؛ فكل أعماله مبنية على مواقع إستراتيجية يصعب على العدو الوصول إليها إلا بمشقة كبيرة، وقد توفر في بنائها وإنشائها الأسس التي ذكرها ابن خلدون سلفا.

فوفرة الأنهار بالثغر الأعلى، ساعدت على إقامة المدن الحربية حول مصبات الأنهار، منها "مدينة لاردة على حافة نهر السيجري⁷، ومدينة تطيلة على حافة نهر نهر إيبرو"⁸؛ فكانت مناعتها وحصانتها مستمدة من موقعها الإستراتيجي.

¹ - ينظر الملحق رقم 15.

² - سالم عبد العزيز: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1985، 54.

³ - بالباس: المرجع نفسه، 75.

⁴ - بالباس: المرجع نفسه، 82.

⁵ - بالباس: المرجع نفسه، 97.

⁶ - الشكعة: المرجع نفسه، 65.

⁷ - السيجري المعروف في المصادر الجغرافية بنهر سنبرورة. الزهري: المصدر نفسه، 82.

⁸ - بالباس: المرجع نفسه، 75.

أما بقية الأعمال المطلة على البحر، فأهمها مدينة طركونة، وهي واقعة على قمة الجبل، وهذا ما أهلها أن تكون مدينة حربية محصنة، بالإضافة إلى أن قواعدها الخلفية هي من الأعمال التابعة للثغر الأعلى، مما يسهل الاستغاثة بهم عند هجوم العدو من البحر.

غير أنه لا يجب إهمال عناصر أخرى في الموقع الإستراتيجي هي أساسية ومنها أن تكون لهذه المدن المزارع الواسعة الخصبة والمراعي الطيبة مع "طيبة الهواء للسلامة من الأمراض"¹، وهذا ما وجدناه من خلال ما تقدم في المباحث السابقة وبخاصة الجغرافية الاقتصادية لكلا الثغرين، مما يؤهل هذه المدن أن تصمد أطول مدة ممكنة أثناء الحصار إذا ما وُجد القائد العسكري صاحب التجربة والحنكة والدراية من الناحية الطبوغرافية (من حيث طبيعة الأرض والطرق وموارد المياه والتضاريس...).

¹ - ابن خلدون: المصدر نفسه، 323.

الفصل الثاني

القيادة العسكرية في الثغرين وقت

السلم.

المبحث الأول: أصول القيادة العليا والإمارة في الإسلام.

المبحث الثاني: خصائص ومميزات القيادة العليا في الثغرين وقت

السلم.

المبحث الأول: أصول القيادة العليا والإمارة في الإسلام.

تضمن المصادر والمراجع سواء العربية والإسلامية أو حتى الأجنبية بالمادة الخبرية في هذا الموضوع إلا بالنزر القليل وبالشئ اليسير من المعلومات والأخبار، سواء ما كان حول القيادة العسكرية عامة في العالم الإسلامي أو حتى في الأندلس، وبوجه خاص في الثغرين الأعلى والأدنى.

إلا أنه من باب الأمانة العلمية والموضوعية فإن الباحث قد يجد بعض الإشارات والتلميح لبعض الجزئيات التي تخدم الموضوع متناثرة في كم هائل من التراث المعرفي والإنساني الذي خلفه الأسلاف سواء المشاركة منهم أو المغاربة أو حتى الأندلسيين أنفسهم.

وللحديث عن القيادة العسكرية في الثغرين - والتي تمثل فرعاً من فروع المدرسة العسكرية الكبرى في الدولة الإسلامية - وجب الرجوع إلى الحديث عن أصل المدرسة العسكرية الأولى وأسس القيادة في الإسلام والنظام الإسلامي.

لأن المتصفح لصفحات التاريخ عامة سواء القديمة منها أو حتى المعاصرة وبخاصة صفحات التاريخ العسكري، يجد أسماءً لقيادة عسكريين وأخرى لمعارك وحروب سواء وقع ذلك في الشرق القريب أو البعيد، أو حتى في الضفة الشمالية للبحر المتوسط أو الجنوبية منه، أو حتى في ما يسمى بالعالم الجديد، فيجد إطراءً ومدحاً لهؤلاء القواد العسكريين، ويجد تمجيدهم وإشادة بما قاموا به وما أنجزوه حتى ولو كان ذلك التخليد والتمجيد على حساب كثير من حقوق الإنسانية والأرواح البشرية.

ولم يأت ذكر المدرسة العسكرية الإسلامية، ولا حتى القيادة في تلك الصفحات إلا بالشئ القليل، أو بالفكرة التي يريد صاحبها الوصول إليها وثبتها، أو الهدف المرجو من الذكر.

فيما عدا ذلك فلا تُذكر، وكأنها لم تكن في التاريخ، رغم أنها كانت مدرسة رائدة وقيادة متميزة على جميع المستويات وفي كل الأوقات.

وقد أقرَّ هذه الحقيقة بعض المؤرخين المعاصرين لما كتبوا عن المدارس العسكرية الحديثة وعن قادتها وعن المعارك قائلين: "فإننا لم نقرأ أو نسمع بقدر

متوازن عن المدرسة العسكرية الإسلامية وفنها العسكري وشخصياتها وأساليبها وهذه حقيقة مؤلمة مع الأسف الشديد والعميق، ولكن هذا لا يعني أبداً إنكار وجود هذه المدرسة أصلاً أو تجاهل بصماتها¹.

فأول من أنشأ المدرسة الحربية الكبرى في دولة الإسلام، ووضع قواعدها وبيّن الغرض الأساس من إنشائها هو النبي محمد-صلى الله عليه وسلم- متمثلاً في ذلك آيات القرآن الكريم من جهة²، ومتمثلاً للأوامر التي جاءت فيها من جهة ثانية، وشارحا لها شرحاً واقعياً من جهة ثالثة، وحتى يأخذ الخريجون والقواد من هذه المدرسة ما يكفيهم من زاد وما يعينهم في مهمتهم التي ندبوا أنفسهم لها ويؤدوا واجبهم على أحسن حال، ويورثوا ما تعلموه لمن يأتي بعدهم لحمل لواء الجهاد في سبيل الله.

وقد تشنفت آذان الزمان بسماع أسماء لقادة تخرّجوا من هذه المدرسة وذاع صيتهم، حتى ترصّعت هذه الأسماء كعقد من الجمان تزيّن صدر الزمان، فمنها ما كان في العهد الأول والرعيّل السالف كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة وأبي عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وغيرهم كثير في المشرق العربي؛ أو ممن جاؤوا بعدهم بقليل مثل قتيبة بن مسلم، ومحمد بن الأشعث ويزيد بن المهلب في المشرق وغيرهم كثير، أو مثل عبد الله بن سعد ومعاوية بن حديج وعقبة بن نافع وأبو المهاجر دينار وزهير بن قيس البلوي وحسان بن النعمان وموسى بن نصير، وغيرهم كثير كذلك في المغرب الإسلامي.

ولم توصل أبواب هذه المدرسة منذ فتحت، بل بقيت كعهدا الأول معطاءة، لا تعرف البخل والشح، لتخرج مثل طارق بن زياد وعبد الرحمن الداخل وعبد الرحمن بن رستم ويوسف بن تاشفين وغيرهم كثير كذلك.

¹- فرج محمد: المدرسة العسكرية الإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت [د.ت.ط] 31.
²- سورة الأنفال، الآيات 7-20، 39-49، 56-75. سورة التوبة، الآيات 1-29، 36-52، 73، 83، 86-92، 123-122.

وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو القائد الأعلى والمسؤول العام في الدولة الإسلامية بجانب كونه المشرع والقاضي.

فقد تولى منصب القيادة العليا طيلة حياته، وكذا قيادة الغزوات وكثير المعارك، رغم كون الغزوات التي خاضها المسلمون تحت قيادته كانت بالجزيرة العربية، وما كان خارجها فكان يوفد من ينوب عنه في القيادة وإدارة المعركة، أو يوفد من ينوب عنه حتى داخل الجزيرة العربية في بعض السرايا.

ثم تولى هذه المهمة من بعده الخلفاء الراشدون، وأبقوا على مركز القيادة بالمدينة المنورة، والتي كانت تمثل العاصمة السياسية والدينية في آن واحد؛ إلى أن هبت ريح الفتنة على الأمة فغيرت مسارها، فانتقلت عاصمة القيادة إلى العراق ثم إلى الشام ثم إلى الأقاليم المفتوحة مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية، فأصبح لكل إقليم مفتوح عاصمة أو مدينة مركزية تخضع لها مجموعة من الولايات أو الأقاليم يحكمها وال أو أمير عرفت في السياسة الشرعية بالإمارة على البلاد.

وترجع أهمية الإمارة على البلاد أو البلدان لما تحتويه من أعمال إدارية وعسكرية متنوعة، فقد كان يعين على كل إقليم: "عامل أو وال أو أمير يقوم بإمامة الناس في الصلاة والفصل في الخصومات وقيادة الجند في الحرب وجمع المال"¹.

وقد فصل الإمام الماوردي² نظرية الإمارة على البلدان ووضع لها شروطا وحدد لها مهمات يقوم بها كل من رشح نفسه لهذا المنصب وحصرها في سبعة أمور هي على الترتيب التالي:

- 1- النظر في تدبير الجيوش، وترتيبهم في النواحي، وتقدير أرزاقهم.
- 2- النظر في الأحكام وتقليد القضاة والحكام.
- 3- جباية الخراج، وقبض الصدقات، وتقليد العمال فيهما وتفريق ما استحق منها.

¹- حسن إبراهيم حسن وآخر: النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط4، 1970، 171.
²- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت [د.ت.ط] 35.

- 4- حماية الدين والذب عن الحريم، ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل.
- 5- إقامة الحدود في حق الله وحقوق الأدميين.
- 6- الإمامة في الجُمع والجماعات، حتى يؤم بها أو يستخلف عليها.
- 7- تسيير الحجيج من عمله ومَن سلكه من غير أهله حتى يتوجهوا معانين عليه.

فالشرط الأول والأساس في إمارة البلدان هو النظر في تدبير الجيش مما يؤكد أن الوالي أو العامل يجب أن يكون على دراية واسعة بشؤون القيادة والتنظيم العسكري، وتسيير الجيش، وإعداد العدة من سلاح وخيل ومؤونة، فهو قائد عسكري ومدني في آن واحد، يجمع ما بين السلطة السياسية والسلطة العسكرية. وقد أورد الماوردي شرطاً ثامناً يختص به إقليم ذو خصوصية المتاخمة للعدو وهو: "جهاد من يليه من الأعداء، وقسم غنائمهم في المقاتلة وأخذ خمسها لأهل الخمس"¹.

ومن هنا يبرز الدور الحقيقي لوالي الثغر أو العامل أو الأمير، لكون الهدف الأساسي له هو اتباع إستراتيجية الهجمات الوقائية-الصوائف والشواتي-، للدفاع عن حدود الدولة الإسلامية، وتطبيق هذا المبدأ كان له آثار إيجابية، بحيث يتم: "نقل ويلات الحرب إلى بلاد العدو مع ما يتبع ذلك من تخريب ودماء، وحماية بلاد المسلمين من ويلات هذه الحرب"².

هذا النظام الذي وضع أساسه عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-، وطوره معاوية بن أبي سفيان-رضي الله عنه-، إلى أن أصبح هذا الأسلوب عاماً في جميع المواقع الحدودية المتاخمة لبلاد العدو.

وقد برز هذا التنظيم الإداري في جميع الأقاليم الإسلامية، فقد كانت الأندلس وهي أقصى ثغر للدولة الإسلامية، تواجه العدو باستمرار، وتجلّى خطر المواجهة

¹ - الماوردي: المصدر نفسه، 35.

² - عميرة عبد الرحمن: الإستراتيجية الحربية في إدارة المعارك في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006، 45.

في منطقتين عرفتا بالثغر الأعلى والثغر الأدنى، وقد سبقت الإشارة إليهما في الفصل التمهيدي وتبيان خصوصية كل منطقة.

فالذي تم ذكره سلفاً، يبين أن المدرسة العسكرية الإسلامية ذات أصل ولها جذور ، وأن أسس القيادة التي قامت عليها أسس متينة، وقواعدها أصلية وأصيلة، ولذا أصبح لزاماً تعريفها وتبيانها، سواء كان ذلك في مقر ومركز الخلافة، أو في الأطراف البعيدة للدولة والتي تعرف بالثغور.

وللحديث عن أسس القيادة في الثغرين، لزم الحديث أولاً عن الأسس العامة التي وضعها القائد الأول في الدولة الإسلامية، وهو محمد-صلى الله عليه وسلم-، والتي كانت بتوجيه من الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، سواء ما جاء في صفات الأنبياء-عليهم السلام- من قبل، وهم في ذلك قادة لقومهم، أو ما وضعه هو -صلى الله عليه وسلم- بوحى من الله، وتجسد ذلك في سيرته، أو ما كان منه إقراراً لبعض أفعال الصحابة-رضي الله عنهم-، وسواء كان ذلك في حضرته أو في غيابه، ويكون ذلك إما قولاً أو فعلاً أو سكوتاً.

فقد جاء ذكر بعض صفات موسى -عليه السلام- في قوله تعالى: " فاستغاثه الذي هو من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه"¹، كما جاء وصفه على لسان ابنة شعيب-عليه السلام- في قوله تعالى: " قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين"².

وجاء في وصف يوسف-عليه السلام- في قوله تعالى: " قال إنك اليوم لدينا مكين أمين، قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم"³

كما جاء وصف العفريت الخادم والمسخر لخدمة سليمان -عليه السلام- في قوله تعالى: " قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك، وإني عليه لقوي أمين"⁴

¹ - سورة النمل، الآية 15.

² - سورة النمل، الآية 26.

³ - سورة يوسف، الآية 54-55.

⁴ - سورة النمل، الآية 39.

فهذه بعض الصفات المطلوبة في القيادة العامة، سواء كانت هذه الصفات خَلْقِيَّةً أو خَلْقِيَّةً، فقد وجب توفرها فيمن يطلب مثل هذا المنصب الحساس.

وقد تمحورت مجموع هذه الصفات حول القوة بعامة، بما في ذلك قوة البدن وسلامة الحواس، لأن بسطة الجسم مطلوبة حتى يكون القائد مهاب الجانب موفور الاحترام، سواء من الأصحاب أو الأعداء؛ أو قوة الحجة والفكرة والعلم، لأن العلم مطلوب في هذا الموقف، حتى لا يكون القائد محل سخرية أو استهتار، ولا يكون مغفلاً فتقوته الأشياء الكثيرة في تسيير شؤون ما أوكل إليه.

وتجسد ذلك في وصف الملك الصالح طالوت، في قوله تعالى: "قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم"¹، والترتيب في الآية يفيد الأهم فالمهم.

وقد تكون القوة في الحزم والعزم في اتخاذ القرار، لأن القرار الصائب يتخذه صاحبه وهو مقتنع به في المكان والزمان اللازمين له، وإلا كان ذلك القرار وبالاً عليه وعلى ما ومن هو تحت إمرته.

ثم إن صفة القوة عامة لا تكون بمعزل عن صفة الأمانة، فإذا ما كانت القوة وحدها قد يتعسف صاحبها في الاستعمال، فيكون بذلك ظالماً. أما إذا لُجِمَت هذه القوة بلجام الأمانة كانت أمانة وأماناً على صاحبها وعلى من كان تحت قيادته من أجناد وأبشار، وحتى البسائط والأراضي والمحلات، فيعم بذلك الأمان ويسود الرخاء، وتسعد الخليفة بذلك القائد وبسياسته الحكيمة، لذلك كانت الأمانة إحدى الصفات الأساسية في النبوة.

أما ما جاء في سيرته-صلى الله عليه وسلم-، فيؤكد ما سبق ذكره من صفات القوة والأمانة والعلم والحفظ، ويضيف إليها الكثير من الصفات الأخرى، وعلى رأسها الشجاعة والإقدام في غير تهور، مع المشاورة وحسن التدبير.

بالإضافة إلى الذكاء الخارق والفتنة المفضية إلى معالجة الأمور، وحسن اختيار المواقف المكلفة بالنجاح وحسن اختيار الأعوان وأصحاب الرأي والتجربة.

¹ - سورة البقرة، الآية 247.

والمتتبع للسيرة النبوية، يجد النبي-صلى الله عليه وسلم- من أول سرية في الإسلام عقد لواءها وهي سرية حمزة بن عبد المطلب-رضي الله عنه- إلى آخر غزوة غزاها وهي غزوة تبوك، أو إلى آخر جيش جهزه وهو جيش أسامة بن زيد-رضي الله عنهما-، قد كان متمثلاً لجميع تلك الصفات وميزانه في ذلك هو: "بصيرة الإمام المتدين العادل، وسياسة الحاكم المتبحر في أحكام الدين، مع إخلاص في الدين وتجرد في القصد، إلى جانب اعتماد دائم على مشاوررة المسلمين والاستفادة من خبراتهم وآرائهم المختلفة"¹.

وقد كان يختار-صلى الله عليه وسلم-: "أصلح الناس ممن عرف بالشجاعة والنجدة والإقدام، واشتهر بالذكاء وحسن التدبير"².

والرسول-صلى الله عليه وسلم- في ذلك كله يتصرف على أنه المشرع والقائد العام، ورئيس الدولة حتى يأخذ عنه الذين يأتون من بعده من الحكام والقادة، حسن التدبير والحكمة، ويقيسوا حاضرهم بغائبهم، مع مراعاة الزمان والمكان، فيقودوا ويديروا لما يصلح به حالهم ومآلهم.

وجاء بعده الخلفاء الراشدون فكانوا هم قادة الجيوش، وكانوا يجهزون الجيش من عتاد وعدة، وإذا ما أقعدهم أمر عن الخروج أوصوا نائبيهم بما يحتاج من توجيه وإرشاد ورأي ومشورة.

وامتدت الفتوحات حتى شملت بلاد المغرب، مع بعض الخصوصيات، لأن الفتح في المغرب، استغرق وقتاً طويلاً مقارنة مع غيره من البلدان، وذلك لطبيعة المنطقة ووعورة التضاريس، وكذلك المقاومة العنيدة والشديدة من أهل المنطقة للفتاحين.

وما لبث الفتح أن استقر، حتى تطلعت النفوس ذات الهمم العالية، إلى ما وراء البحر، فخرج اللواء تلو اللواء، والأسطول تلو الأسطول حتى ترامت أطراف الدولة الإسلامية فشملت معظم شبه جزيرة إيبيريا وأجزاء من جنوب فرنسا الحالية

¹ - البوطي، محمد سعيد رمضان: فقه السيرة النبوية، دار الفكر دمشق، ط11، 1412هـ/1991م، 160.
² - حسن إبراهيم حسن: المرجع نفسه، 203.

والفاتحون متمثلون في كل خطوة من خطواتهم التي يسيرونها أو في كل لحظة يعيشونها، وبخاصة القيادة العليا أو من ينوبها في مهامها، جميع الصفات التي وضعها الإسلام، وأقرها النبي محمد-صلى الله عليه وسلم- وطبقها هو ومن جاء بعده من الخلفاء الراشدين المهديين.

فكان الحال كذلك في بلاد الأندلس، إلى أن تشعبت بالمسلمين السبل خصوصا في بداية القرن الخامس الهجري، وتقطعت أواصر المحبة بينهم، وكان أمراؤهم وقادتهم على نفس شاكلتهم، فاتبع كل قائد وأمير هواه، فذهبت ريحهم وقوتهم، وزاد تنافسهم على الدنيا وملذاتها فطمع فيهم العدو، فتقطعت البلاد الإسلامية إلى بلدان، والبلد الواحد إلى إمارات ومقاطعات، وبخاصة بالشغور المتاخمة للعدو.

فكيف كان حال المسلمين وقادتهم في الشغور الأندلسية؟ وهل استفادت القيادة في الشغور من خصال وصفات أسلافهم؟ وكيف كانت القيادة في الشغور تتعامل مع العدو ومع بعضها البعض وخاصة في الثغرين الأعلى والأدنى؟ وهل أخذت هذه القيادة بنصائح العلماء والفقهاء والكتب التي صنفت في هذا الميدان، والتي تدخل تحت السياسة الشرعية والولايات الدينية؟

علما أن علماء السياسة الشرعية، قد وضّحوا في مؤلفاتهم خصال القيادة العليا والتي معها يدوم الملك، وبينوا الخصال المفضية إلى زواله، وممن عاصر ملوك الطوائف، الإمام الطرطوشي (ت520هـ/1126م)، والذي أفرد للقيادة العليا-أو السلطان- الكثير من أبواب كتابه سراج الملوك.

فعند ذكره للخصال التي تزيل الملك وتذهب العز يأتي بالكثير من الأمثلة، ويكفي التذليل بمثال لأحدهم سلب الملك فيقول هذا المسلوب: "شغلنا لذاتنا عن التفرغ لمهماتنا، ووثقنا بكفائتنا فأثروا مرافقهم علينا، وظلم عمالنا رعيتنا، فانسدت نياتهم لنا، وتمنوا الراحة منا، وحمل على أهل خراجنا فقل دخلنا، وبطل عطاء

جندنا فزالت الطاعة منهم لنا، وقصدنا عدونا فقلل ناصرنا، وكان ما زال به ملكنا استتار الإخبار عنا"¹.

ثم يأتي على ذكر الخصال التي هي جمال الملك-أي التي هي أساسية وتديم الملك والسلطان- فيذكرها في جملة من الأبواب، هي باختصار المشاورة والنصيحة والحلم وعدم الغضب والجود والسخاء والتحرز من الشح والبخل والصبر وكتمان السر والشكر².

ومن نافلة القول، إن العلماء ما بخلوا بالنصح لأئمة المسلمين وقادتهم، إلا إذا أبا هؤلاء، سواء في سالف زمنهم، أو في زمن ملوك الطوائف أو بعدهم.

فهذا ابن هذيل علي بن عبد الرحمن الأندلسي، وهو من علماء القرن الثامن الهجري، وهو متأخر عن زمن الطوائف، يفرده الباب الثامن من كتابه تحفة الأنفس في حكم ولاية الثغور، وما يجب أن يكونوا عليه، وما يحتاجون إليه من كثرة جند، والاهتمام بهم، وبالتجسس، وبالرتب العسكرية، وطرد الجنود غير الأكفاء وواجبات الإمام في فتح البلاد³.

وما يؤسف له أن الضعف قد دب في أوصال الثغرين الأدنى والأعلى، وأن القيادة العليا فيهما قد تأثرت بهذا الضعف، وكان ذلك واضحا في زمن ملوك الطوائف؛ وكانت القيادة العليا سببا مباشرا أو غير مباشر في زوال ملك المسلمين بالأندلس، وذلك لما قاموا به من أعمال منافية لأعمال أسلافهم، واتصفوا بصفات لم تكن عند أجدادهم. بل إنهم في بعض الأحيان قد ابتدعوا من الأفعال وقلدوا الأعداء حتى فاقوهم في صفات الخبث والمنكر، فكان ذلك إيذانا بزوال ملكهم.

¹- الطرطوشي، محمد بن الوليد: سراج الملوك، تح جعفر البياتي، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط1، 1990، 177.

²- الطرطوشي: المصدر نفسه، من ص234 إلى ص315.

³- ابن هذيل، علي بن عبد الرحمن الأندلسي: تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، تح عبد الإله أحمد نبهان وآخر، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1425هـ/2004م، 125-130.

المبحث الثاني: خصائص ومميزات القيادة العليا في الثغرين
وقت السلم.

تعاقب على الأندلس أنماط مختلفة من أنظمة الحكم السياسي، فبعدما كانت البلاد المفتوحة تتبع دار الخلافة بعد فتحها، أصبحت بعد سقوط نظام الدولة الأموية في المشرق وانتقالها إلى الأندلس بزعامة عبد الرحمن الداخل تتبع نظام الإمارة. وامتد زمن هذا النظام أمدًا طويلاً بحيث شمل ما يقارب القرنين من الزمن أي من 138هـ/756م إلى غاية 316هـ/929م.

وظهر نظام الخلافة في بلاد الأندلس مع مجيء الناصر لدين الله (300-350هـ/912-961م)، هذا الأخير الذي أقره بعد الاجتهادات التي قام بها علماء السنة، حيث أجازوا بشرعية إمامين للمسلمين في وقت واحد، بشرط أن تكون بينهما مسافة كبيرة ومساحة شاسعة لمنع الاصطدام بين المسلمين.

واستمر هذا النظام في الأندلس إلى أن تم إلغاؤه سنة 422هـ/1031م، وقد مهّدت لزوال هذا النظام العديد من الأسباب، كان منها الفتنة التي وقعت وسميت بالفتنة البربرية، حيث أصبح النظام نظام إمارة عامة في الأقاليم، ولكنه إمارة استيلاء: "فيكون الأمير باستيلائه مستبداً بالسياسة والتدبير"¹؛ أي أن الأمير كان قائداً عسكرياً وحاكماً مدنياً في ذات الوقت.

فكل إقليم بالأندلس في هذه الفترة (399هـ-422هـ/1009-1031م)، أصبح يشكل دويلة صغيرة مستقلة تابعة للخلافة بقرطبة بشكل صوري، وما فتأت هذه التبعية الصورية أن تزول، حتى نصّب كل عامل على الناحية نفسه أميراً، ويؤكد الأمير عبد الله في كتابه التبيان هذا بقوله: "وبقي الناس لا إمام لهم، ثار كل قائد بمدينته وتحصّن في حصنه وتقدمه النظر لنفسه واتخاذ العساكر"²، ويذهب ابن الكردبوس كذلك إلى هذا المعنى بقوله: "فلما اتصل الخبر بأمراء البلاد ثار كل واحد منهم في بلده بما عنده من الأجناد"³.

¹ - الماوردي: المصدر نفسه، 39.

² - ابن بلقين عبد الله مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان، تح ليفي بروفنسال، دار المعارف بمصر، [د.ت.ط]، 18، ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، دار الكاتب العربي، بيروت، 1405هـ/1985م، ط5، 290/7.

³ - ابن الكردبوس: المصدر نفسه، 67، ابن بشكوال، أبو القاسم خلف الله بن عبد الملك: كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تح صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1423هـ/2003م، 529.

وذلك لما عجز أهل الحل والعقد في قرطبة من ايجاد خليفة أموي أو شخصية أموية قوية تقوم بهذه المهمة، فما كان منهم إلا أن يلغوا منصب الخلافة في قرطبة ويعزلوا آخر خلفاء بني أمية وهو هشام الثالث الملقب بالمعتد، فكان لزاما على العمال والأمراء أن يقوموا بتسيير وتدبير شؤون الأقاليم والنواحي التي كانت تحت أيديهم و: "لأن عمال النواحي والأطراف وجدوا أنفسهم فجأة بدون خليفة ومضطرين إلى أن يتولوا بأنفسهم شؤون ولايتهم"¹.

ورغم تقارب المسافة وعدم شساعة الإقليم فقد ذهبوا وتفرقوا، وفرح كل عامل بما تحت يده من أجناد ومقاطعات، وذهبوا في ذلك مذهبا لم تشهده أرض الإسلام منذ قامت أول دولة لهم، ويصف ابن الخطيب هذه الحالة قائلا: "وذهب أهل الأندلس من الانشقاق والانشعاب والافتراق إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار مع امتيازها بالمحل القريب"².

زد على ذلك أن هؤلاء العمال -الذين أصبحوا حكاما وأمراء- لم يكونوا على درجة واحدة من الفطنة والنباهة التي تؤهلهم إلى القيادة سواء العسكرية منها أو المدنية: "فليس لأحدهم في الخلافة إرث، ولا في الإمارة سبب، ولا في الفروسية نسب، ولا في شروط الإمامة مكتسب"³.

وتميزت هذه الفترة في الثغرين بالضعف الشديد في التسيير الإداري وكذا التنظيم والتخطيط العسكريين، وبخاصة بعد إلغاء الخلافة، وما يؤكد ذلك أن حالة الجند قد تدهورت إلى أدنى درجة، بحيث أصبحت الإمارات عاجزة عن دفع مستحقات الأجناد: "فبعدهما كان [الجندي] يتقاضى مرتبا شهريا من الدولة حسب رتبته بدلا من استغلاله للإقطاع... فلم تستطع الحكومة دفع رواتب الجند فكثرت شغبهم وانتقل الفساد إليهم"⁴.

¹- مؤنس حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة القاهرة، ط3، 2004، 415.

²- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي: تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط1، 1424هـ/2004م، 144.

³- ابن الخطيب: المصدر نفسه، 144.

⁴- مختار العبادي: صور لحياة الحرب والجهاد في المغرب والأندلس، مجلة العصور، دار المريخ للنشر الرياض، جمادى الأولى 1406هـ/جانفي 1986م، 85.

فأصبحت الأجناد معاول هدم للدولة تتخر جسمها، بعدما كانت في سابق عهدها عوامل بناء واستقرار.

كما كانت عوامل ضعف أخرى جاء ذكرها عند بعض المؤرخين صراحة وعدّوها من أسباب الضعف في القيادة في الثغرين، ومنها أن القيادة العليا قد اعتمدت على العصبية الممقوتة والممزقة لصف الوحدة فقد: "اعتمدت على عناصر عسكرية من بني جلدتها"¹.

ولم يقتصر قصر النظر في التسيير والتخطيط عند القيادة العليا، عند هذا الحد بل تعداه إلى الاعتماد على جماعات من المرتزقة من النصارى²، والتي كانت تظهر وتناصر وتعين بعضهم على البعض الآخر³، وهي في ذلك تهدف إلى: "تمزيق وحدة الصف العربي"⁴.

وقد بلغ من أمراء الثغرين أن ظاهروا الأعداء: "ورموا بثقتهم كلها على الجيران النصارى أصحاب قشتالة وليون"⁵.

ولا أدل على ذلك، كذلك من انضمام السيد القنبيطور⁶ إلى جيش يوسف المؤتمن (474-478هـ/1081-1085م) بسرقة بعد نفيه من قبل ألفونسو السادس ملك ليون، ثم عودته إلى خدمة هذا الأخير بعد سنة 477 هـ/1084م.

وبالمقابل ففي الطرف الآخر من النصارى، فإن قيادتهم وبخاصة قيادة جليقية تحت إمرة فردناند بن شانجه قد قويت شوكتهم فاستغلت تلك القوة من جهة وضعف المسلمين عامة والقيادة في الثغرين بصفة خاصة من جهة ثانية، فسارعت لنجدة قادة الثغرين وما تطلبت تلك النجدة من سلاح ورجال وعدة وعتاد، مقابل

¹ - السا مرائي خليل إبراهيم، وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2004، 396.

² - عنان: المرجع نفسه، 266؛ السمرائي: المرجع السابق، 233؛ الصلابي، علي محمد محمد: الجواهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط1، 1424هـ/2003م، 75.

Guichard Pierre : Al-Andalus711-1492, une histoire de l'Andalousie arabe,Hachette littératures,2000,126.

³ - ابن عذارى المراكشي: المصدر نفسه، 278/3.

⁴ - السامرائي: المرجع نفسه، 396.

⁵ - مؤنس حسين: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي القاهرة، ط1، 1407هـ/1987م، 189.

⁶ - السيد القنبيطور: قائد عسكري وزعيم إسباني(1043-1099م)، برز إبان حكم دويلات ملوك الطوائف، الموسوعة العسكرية، 602/4.

شروط لا يقدرّون عليها¹، وكانت: "باهظة مقابل ذلك العون بالإضافة إلى المبالغ الكبيرة"². فكانت تلك الشروط التعجيزية فيها من المهانة والذل الشيء الكثير غير أن أمراء الثغرين ما وجدوا من ذلك بدا حسب اعتقادهم، وذلك لأنهم دخلوا في حروب داخلية طاحنة من أجل توسيع الملك والإقطاع، أو من أجل المحافظة على مدينة-كمدينتي سالم وواد الحجارة-: "فبذلوا للفنش ما يجب من الأموال ليعينهم على مناوئهم بإنجاد الرجال"³.

وبلغ من قيادة الثغرين الذل مبلغه، حين أصبحوا يدفعون الجزية والضريبة لملوك النصارى سنويا، في حين كانت هذه الجزية وهذه الضرائب من عائدات بيت مال المسلمين، مقابل حماية المسلمين للنصارى لما كانت القيادة العليا مؤهلة لذلك.

ويؤكد بيار غيشار أن ملوك الطوائف-أي أمراء الثغور وقادتها- الأغنياء بالمال لا بالجند، قد تعرضوا لعمليات الابتزاز، وأن اقتصاد الدويلات الإسلامية-الثغور- وخزائنها المالية، قد تعرضت لعمليات استنزاف كبرى، من قبل قادة المقاطعات النصرانية، حتى وصلت إلى العجز عن التسديد، لما صاحبها من ضرائب غير شرعية⁴.

فأموال بيت المال في الثغرين لم تعد تصرف في الوجوه المخصصة لها، وهي إعداد الجيوش، والقيام بشؤونها، من تطوير للسلاح، وترميم للحصون، وإعداد فرق الحماية في الحصون والثغور المتاخمة للعدو، وإلغاء نظام الصوائف والشواتي، وانقطاعهم عن الجهاد، واشتغالهم من أدنى رتبة في الجيش إلى أعلاها بملذات الدنيا ولهوها.

فيذكر صاحب المعجب، نقلا عن حوار جرى على لسان يوسف بن تاشفين في مجلس من مجالسه، موضحا الصورة الحقيقية التي وصل إليها ملوك الطوائف

¹ - ابن عذارى: المصدر نفسه، 282/3.

² - السامرائي: المرجع نفسه، 233.

³ - ابن الكردبوس: المصدر نفسه، 77.

⁴ - Guichard Pierre : Op.Cit ,126.

عامّة وقادة الثغرين على الخصوص والتي ذكرنا منها نبذا في ما سبق، فيقول: "إنما كان غرضنا في ملك هذه الجزيرة أن نستنقذها من أيدي الروم، لما رأينا استيلاءهم على أكثرها، وغفلة ملوكهم، وإهمالهم للغزو، وتواكلهم وتخاذلهم، وإيثارهم الراحة، وإنما همّة أحدهم كأس يشربها، وقينة تسمعه، وهو يقطع به أيامه"¹.

ويؤكد صاحب الحلل الموشية، أن الجهاد بالأندلس قد انقطع أكثر من ثلاثة أرباع القرن من الزمن، وانغمس الجيش - أو ما تبقى بما يشبه الجيش في الثغور - وقادته في المنكرات والشهوات، حيث يقول: "وكان الجهاد انقطع بها منذ تسع وسبعين سنة من مدة آل عامر"².

ويصف ابن حيان، وهو شاهد عيان قد واكب زمن الطوائف، هذه الفترة من التاريخ الأندلسي، بقوله: "فقد خص الله تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاج... فالأمراء القاسطون - الظالمون الجائرون - قد نكبوا عن نهج الطريق زيادا عن الجماعة، وجريا إلى الفرقة، والفقهاء أئمتهم صمون عنهم، صدوف عما أكده الله تعالى عليهم"³.

ولقد انتكست القيادة في الثغرين إلى أن بلغت الحضيض، حيث أصبح القائد العام للثغر والحاكم المدني، هو منبع الخوف وبوابة الخطر على الثغر ومن فيه من المسلمين، وقد تجلّى ذلك في ما فعله سليمان بن هود (431-438هـ/1039م-1046م)، والذي كان يمثل القائد العام للجيش، في تخليه عن الدفاع عن بعض الأعمال والمدن التابعة لحكمه، وبخاصة مدينتي تطيلة ووشقة، لما أغار جيش نبارة عليهما سنة 436هـ/1044م، فقد تركهما وأهلها تحت رحمة الجنود النبريين وقائدهم الذين ملأوا قلوب المسلمين رعبا وخوفا: "وابن هود في هذا كله قد حاد عن لقائه على ما كان عنده في ذلك الوقت من الجموع ووفور الأعداد، واقتصر

¹ - المراكشي عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة، 1414هـ/1994م، 143.

² - مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح سهيل زكار وآخر، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1399هـ/1979م، 82.

³ - المقرئ: المصدر نفسه، 5/344.

على ضبط الحصون والقلاع، وشحنها بالأطعمة والرجال، وخلقى بين عداة الله والبسائط يسعرونها ناراً¹.

وذهب خليفته أحمد بن سليمان (438-474هـ/1046-1081م) الملقب بالمقتدر إلى ترويع الأميين من المسلمين في مدنهم وحصونهم بتهديدهم بالروم بعدما أصبح أميراً على ثغر سرقسطة، فيصف ذلك صاحب الحلل الموشية بقوله: " فأقام ابن هود رضي البال، يهدد النصارى بالمسلمين، ويهدد المسلمين بالروم لكونه حائلاً بينهم وبين بلاد الإفرنج"².

وتبقى الفترة التي جاءت بعد سنة 479هـ/1086م-، هي فترة استثنائية في تاريخ ملوك الطوائف، وذلك بدخول أمير المغرب يوسف بن تاشفين، والذي استجاب لدعوة نجدة المسلمين.

هذا الأخير قد جمع في شخصه من صفات القيادة العليا الشيء الكثير، فقد ذكره بعض المؤرخين ووصفوه بأنه: " كان رحمه الله بطلاً نجداً شجاعاً حازماً مهاباً ضابطاً لملكه، متفقد الموالى من رعيته، حافظاً لبلاده وثغوره، مواظباً على الجهاد، جواداً كريماً سخياً زاهداً في الدنيا"³.

وقد كان كذلك: " فقيهاً وعالماً وأديباً وسياسياً بارعاً، إذ كان قدوة لرجالته من ناحية، ونموذجاً إسلامياً رفيعاً أمام عيون البلاد المفتوحة"⁴.

وانعكست صفات القائد الأعلى على جميع أفراد جيشه، فكان: " الجيش المرابطي بالأندلس وطوال عصر يوسف بن تاشفين قوياً منظماً، تقوده قيادة بصيرة"⁵. ويذكر الصلابي صفات القائد العسكري عند المرابطين بشيء من الإطراء والإسهاب هي موجزة كالتالي: الإكثار من طاعة الله، القدوة الحسنة، الخبرة بأمور الحرب والقوة، البعد عن طلب القيادة، إسناد الأمور إلى أهلها،

¹- ابن عذاري: المصدر نفسه، 3/ 281.

²- مؤلف مجهول: المصدر نفسه، 75.

³- ابن أبي زرع، علي الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، 136. مؤلف مجهول: الحلل الموشية، 81-82.

⁴- زغروت فتحي: الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين (المغرب والأندلس)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط1، 1426هـ/2005م، 66.

⁵- زغروت: المرجع نفسه، 71.

التربية الروحية العالية للجنود، الحرص على قاعدة الشورى، الحرص على تحقيق الأهداف، الشجاعة والكرم، وأخيرا التصرف الحكيم والسريع أمام المفاجآت¹.

وترك ابن تاشفين بصماته على النظام العسكري الإداري، بأن رأى: "أن خير وسيلة لإصلاح الجيش هي إعادة النظام الإقطاعي العسكري من جديد"². ويبقى التتويه بالدولة المرابطية أنها دفعت خيرة قادتها إلى الأندلس، دفاعا عن بيضة الإسلام، والذب عن المسلمين، غير أنها فقدت الكثير من عظماء قوادها برسم الجهاد بالأندلس وكان ذلك من أسباب ضعفها وزوالها.

¹ - الصلابي: المرجع نفسه، 181-186.

² - العبادي: المرجع نفسه، 85.

الفصل الثالث: القيادة العسكرية في التغرين وقت الحرب.

المبحث الأول: الأسلحة.

المبحث الثاني: المواجهات العسكرية في التغرين.

المبحث الأول: الأسلحة.

أ/ أسلحة قتال هجومية خفيفة

ب/ أسلحة قتال هجومية ثقيلة

ج/ أسلحة قتال دفاعية خفيفة

د/ أسلحة قتال دفاعية ثقيلة

ذكرنا في الفصل السابق أن القيادة العسكرية العليا أثناء السلم والتمثلة في الملك أو القائد الأعلى للجيش، قد تجلى كل همها وشغلها في مهادنة وموادعة العدو، بل والاستعانة به في الإغارة على الممالك المجاورة. فهل أعطت هذه القيادة أهمية للخطط العسكرية، والتمثلة في خطة العرض وخطة خازن السلاح، وخطة الخيل كما كانت في سابق عهدها زمن الإمارة والخلافة؟ وهل ظلت المدن المتربعة على المادة الأولية للأسلحة على ما كانت عليه كذلك؟

فإنه لم تذكر المصادر الأندلسية المتنوعة، سواء السياسية منها أو كتب التراجم والطبقات، أو كتب النظم الإسلامية، الخطط العسكرية التي كانت متبعة في نظام كل مملكة، في حين يمكن استقراء ذلك من خلال النتائج المترتبة عن المعارك التي دارت رحاها في تلك المناطق، وهي الانتصارات المحققة بين الجيوش الإسلامية سواء فيما بينهم، أو ما كان بينهم وبين الجيوش النصرانية، لدليل قاطع على وجودها، وحسن إدارتها من قبل القائد العام للجيش، مما ينفي عن هذه المرحلة الضعف العسكري والمادي، فأين يكمن الخلل؟

تميز القرن الخامس الهجري بتجزئته السياسية والتشرذم الإقليمي، ومحاولة هؤلاء الملوك الاستيلاء على أكبر عدد من الأراضي لتوسيع ملكهم، مما جعلهم يعتمدون على عناصر من المرتزقة النصارى، والذين كانوا ينقلبون في كثير من الأحيان عليهم.

هذا الوضع المتردي والسائد في تلك الأثناء أوجد نوعاً من انعدام الأمن والأمان، فقد ظهرت "ظاهرة التهاافت على اكتساب الأسلحة والتباهي بها"¹ محاولة من العامة الدفاع عن أنفسهم من اعتداءات النصارى المتكررة، أو من اعتداءات بني جلدتهم من المسلمين من الممالك المجاورة.

وحتى هؤلاء العامة شهد لهم المؤرخون بأنهم "أحدق الناس بالفروسية وأبصرهم بالطعن والضرب"².

¹ - حناوي: المرجع نفسه، 288.

² - ابن غالب: المصدر نفسه، 288. المقرئ: المصدر نفسه، 4/4.

وقد جمع أهل الأندلس فن الصناعة الحربية، فهم "صينيون في إتقان الصنائع العملية... تركيون في معاناة الحروب ومعالجة آلاتها، والنظر في مهماتها"¹.
ومما تقدم يستنتج أن الصناعة الحربية في الأندلس كان لها شأن كبير وذلك لتوفر المواد الأولية من الحديد وجودة الخشب، كما جاء ذلك مبينا فيما تقدم في الجغرافية الاقتصادية للثغرين، وكلا المادتين كانت تدخل بنسبة كبيرة في إنتاج السلاح الخفيف والتقىل على حد سواء.

وقد نوه بعض المؤرخين المتأخرين، والذين كتبوا عن الفترة الأندلسية بما وصلت إليه الصناعة الحربية، فقد جاء وصفهم لها، أن: "صناعة الأسلحة أكثر تقدما خلال القرن الخامس في البلاد الأندلسية عنها في البلاد الغربية والشرقية"²
وما يؤكد هذا، هو اعتماد المرابطين على اقتناء الأسلحة بجميع أنواعها من بلاد الأندلس، فقد بعث يوسف بن تاشفين إلى الأندلس "برسم شراء العدة وآلات الحروب فاشترى له منها كثيرا، وكان ذلك العام عام اقتناء العدة، واتخاذ السلاح"³.
وتتنوع أسلحة الجيش ما بين أسلحة هجومية ودفاعية، وفي الأسلحة الهجومية توجد الخفيفة والثقيلة وكل نوع من السلاح له صاحبه.

فالمشاة-الرجالة- يتسلحون بالأقواس والنشاب، وغالبا ما تكون هذه الفرقة هي واجهة الجيش، والفرسان يتسلحون بالرمح والسيوف والدبابيس، ولا يبقى الفارس أو الراجل دون سلاح الدفاع، بل نجدهم كانوا يلبسون الدروع⁴ والتروس⁵ والخوذة⁶ وهو ما يعرف باللباس الحربي.

ومما تم ذكره سلفا ومجملا عن السلاح، فيمكن التعريف ببعض الأسلحة وذلك

بتقسيمها على النحو التالي:

¹- المقري: المصدر نفسه، 4/4.

²- موسى عز الدين أحمد: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق

بيروت، ط1، 1982/1403، 252.

³-مؤلف مجهول: المصدر نفسه، 37.

⁴- ينظر الملحق رقم 08.

⁵- ينظر الملحق رقم 08.

⁶- ينظر الملحق رقم 09 و 10.

أ- أسلحة قتال هجومية خفيفة: وهي الأسلحة التي يستخدمها الجندي بمفرده ولا يمكن له أن يستغني عنها بتاتا، وترتكز أساسا على قوة الرمي. وقد حث الرسول-صلى الله عليه وسلم- على إتقان الرمي بقوله: "ارموا واركبوا وإن ترموا أحب إلي من أن تركبوا"¹.

وكذلك من أقواله-صلى الله عليه وسلم- وهو قائم على المنبر: "وأعدوا ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي"². ويعد الرماة أهم عناصر المشاة في الجيش، وتتجلى أهم أسلحتهم القتالية الهجومية الخفيفة فيما يلي:

1- القوس: وهو عود من شجر صلب يحنى طرفاه بقوة ثم يشد بينهما وتر من الجلد، وقد أخذ المسلمون صناعة القسي عن الفرس ثم طورت هذه الصناعة وفق البيئة التي يعيشون فيها؛ "القوس الكثيرة الخشب تصلح للبلد الشديد الحر والبرد وللبلد الشديدة الرطوبة جدا...وأما القوس الكثيرة العقب الضيقة فتصلح للهواء المعتدل"³؛ بمعنى أن القسي ما بين الثغرين تختلف نوعيتها باختلاف المناخ سابق الذكر، والذي تم توضيحه في الجغرافية الطبيعية لكلا الثغرين.

والقسي الأندلسية تختلف في مادة صناعتها عن القسي المشرقية، حيث يتم انتقاء أحسن الخشب الذي تجتمع فيه الخفة والصلابة، وهذا ما توفره أشجار "الصنوبر الأحمر الخفيف الذي خرجت دهنته"⁴؛ واشتهرت بالخصوص به مدينة طرطوشة. وقد اشتهر العرب منذ عهدهم القديم- أي منذ أيامهم الأولى في الجاهلية- بمهارتهم في الرمي بالقوس والتمرس بها حتى أطلق على " مهرة الرمي رماة الحدق"⁵.

¹- العسقلاني، الحافظ أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تح: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ترقيم الأستاذ: محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام الرياض، ط3، 1421هـ/2000م، 6/111.

²- العسقلاني: المصدر نفسه، 6/112.

³- مؤلف مجهول: البدائع والأسرار في حقيقة الرد والانتصار، مخطوط الخزانة العامة الرباط، ق32(مجموع). ينظر حناوي: المرجع نفسه، 260.

⁴- حناوي: المرجع نفسه، 261.

⁵- زيدان، جرجي: المرجع نفسه، 184/1. الصالح صبحي: النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط2، كانون الثاني/يناير 1990، 403. عميرة: المرجع نفسه، 96.

وقد طور أهل الأندلس من نوعية القسي بما يتماشى مع محيطهم وكذا طبيعة المنشآت العمرانية والحربية، فقد وُجِدَت القسي التي تصلح للصعود أي لضرب القلاع والحصون، والتي تصلح للرمي من الأعلى إلى الأسفل¹؛ وتم استعمالها من قبل المقتدر (438هـ/1046م)، حيث قدر عدد مستعملها "آلاف من الرماة بالقسي العقارة"².

أما ابن الخطيب، وهو سابق لصاحب كتاب الحلل الموشية، وعند الحديث عن جيش المقتدر، فقد وصف الرماة وحدد مستعملي القسي العقارة، وهي من أجود القسي بقوله: "وكان في جيشه الذي احتشده من الرماة بالقسي العقارة أزيد من ستة آلاف"³.

ولا يمكن للقوس أن يؤدي دوره المنوط به، ومهما كان نوعه، إلا بوجود السهم⁴ أو النشاب.

فالسهم أو النشاب عبارة عن عود رفيع من شجر صلب، في طول الذراع تقريبا ينحت ويسوى، ثم يفرض فيه حوز دائرية ليركب فيها الريش، ويشد عليها بالجلد المتين، أو يلصق بالغراء ثم يركب في قمته نصل من حديد مدبب، له سنتان في عكس اتجاهه، ويجعلانه صعب الإخراج إذا نشب في داخل الجسم، ويصنع عادة "من خشب الصنوبر"⁵.

2- الرمح⁶ والحربة والمزاريق: هو عود من شجر صلب، مادته الأولية خشب الزّان، أو المرّان⁷، أو الصنوبر. وللرمح: "طبقات منها النيزك⁸،

¹ - حناوي: المرجع نفسه، 260.

² - مؤلف مجهول: المصدر نفسه، 76.

³ - ابن الخطيب: المصدر نفسه، 171-172.

⁴ - ينظر الملحق رقم 04.

⁵ - ابن سيدة: المصدر نفسه، 51/6، 61.

⁶ - ينظر الملحق رقم 04.

⁷ - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب: البيان والتبيان، تح علي أبو ملعم، دار مكتبة الهلال بيروت،

ط1، 1988/1408، 12/3.

⁸ - النيزك: هي الرمح القصيرة.

والمربوع¹، والمخموس²، ومنها التام، ومنها الخِطْلُ³ "4؛ ويكون استخدام الرماح بالنسبة للفارس والراجل على حد سواء.

ومما لا شك فيه أن استعمال الرماح في الأندلس كان متداولاً، وأن المسلمين كانوا يعولون عليها في حروبهم ومعاركهم؛ وقد جاء ذكرها عند الإمام الطرطوشي، وهو يصف صفة لقاء بعد أن تتقدم الرجالة، بـ: "الرماح الطويلة والمزاريق⁵ المسنونة"⁶.

ومما يلاحظ أن المرابطين أثناء وجودهم بالأندلس قد استخدموا فرقة خاصة لحمل هذا النوع من السلاح كوسيلة فاصلة ومرجحة للفصل في المعارك، وهذا ما تحقق في معركة الزلاقة (479هـ / 1086م) بدخول فرقة خاصة من السودان تختص بحمل "مزاريق الزان"⁷؛ بالإضافة إلى أسلحة أخرى، وكانت كرتهم عليهم بالنصر المؤزر.

وعلى هذا الأساس فإن الرمح سلاح يجلب النصر، كما أنه قد يجلب المنية، فقد سئل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: "فيما تقول في الرمح؟ قال: أخوك وربما خانك فانقص"⁸.

3- **السيف**: وهو موروث تاريخي حضاري يتباهى به الزعماء على أعدائهم وهو سلاح هجوم، وقوة ضاربة، في يد الجندي، يأتي استعماله في آخر المعركة بعد القوس والرمح؛ وعززت مكانة السيف عند المسلمين بعد الإشادة به في حديث

¹ - المربوع: طوله أربعة أذرع.

² - المخموس: طوله خمسة أذرع.

³ - الخِطْلُ: هو الذي يضطرب في يد صاحبه لإفراط طوله.

⁴ - الجاحظ: المصدر نفسه، 17/3. صبحي الصالح: المرجع نفسه، 505-506. عميرة: المرجع نفسه، 97-98.

زغروت: المرجع نفسه، 165.

⁵ - المزاريق: مفردا مزارق، وهو أخف من العنزة، والعنزة قدر نصف الرمح. ابن سيده: المصدر نفسه،

34/2.

⁶ - الطرطوشي: المصدر نفسه، 509.

⁷ - ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح

إحسان عباس، دار صادر، بيروت [د.ت.ط]، 118/7.

⁸ - ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي: العقد الفريد، تح أحمد أمين وآخرون، دار الكتاب العربي،

بيروت لبنان، 1983/1403، 179/1.

رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف"¹، مما جعلهم مهرة في المبارزة بالسيف، ركبانا ومشاة وقعودا وجثيا على الركب. وقد ذكر ابن خلدون ونوّه بدور السيف في قيام الدولة بأطوارها المختلفة، فيحتاج صاحب الملك إلى: "الأعوان في أمر السيف وأمر القلم وأمر المال"²، وهذا وهذا التنويه بالسيف إنما هو للقوة العسكرية بعامتها، والسيف أبرز أدوات القوة العسكرية

وخصوصية القرن الخامس الهجري، تجلت في تغليب الدولة للقوة والسيف من أجل إخضاع المعارضين وتدعيم قوتها، وكان هذا هو ديدن "دولة بني أمية بالأندلس والطوائف بعدهم"³.

وقد اشتهرت عدة مدن أندلسية بصناعة السيوف⁴، منها طليطلة وسرقسطة وقد وقد تمت الإشارة لذلك في مبحث الجغرافية الاقتصادية للشغرين، غير أن أهل الأندلس كانوا يستعينون بالسيوف "الإفرنجية نظرا لجودتها بل هي أكثر تفوقا"⁵. وقد يتساءل البعض عن سبب جودتها والإقبال عليها؛ والجواب في ذلك أن الفرنجة: "كانوا يجيدون سقيتها حتى تبرى الحديد"⁶.

ولذلك فإن السيف قد أدى دورا كبيرا في جميع الحقبات التاريخية، وكان مردوده في المعارك واضح المعالم.

4- الخنجر⁷ والإطاس⁸ (أو الأظاس أو الأقطس): فالخنجر سلاح أبيض يسهل يسهل حمله بوضعه في الجنب، والإطاس خنجر معقوف وبه اعوجاج يجعله شبيهه بالمنجل. وقد أشكل الأمر على قائد النصارى ألفونسو، حينما طعنه أحد الجنود

¹ - العسقلاني: المصدر نفسه، 6/ 41-42.

² - ابن خلدون: المصدر نفسه، 232.

³ - ابن خلدون: المصدر نفسه، 232.

⁴ - ينظر الملحق رقم 04 و 05.

⁵ - حناوي: المرجع نفسه، 259.

⁶ - زيدان: المرجع نفسه، 185/1.

⁷ - ينظر الملحق رقم 06.

⁸ - جاء ذكر الأقطس عند صاحب الحلل الموشية، 61، والإطاس أو الأظاس في المراجع الحديثة؛ زغروت: مرجع سابق، 167، بلغيث محمد الأمين: دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006/1426، 39.

المسلمين بالأطاس، فتخيله ألفونسو منجلاً، ولم يكن له علم بهذا السلاح الجديد، حينما قال: " أن غلاماً أسود ضربي في الفخذ بمنجل أراق دمي"¹؛ وفي رواية ابن خلكان أن الطعن تم بخنجر².

5- السوط أو السياط: وهو سلاح يدوي خفيف يصنع من جلود بعض الحيوانات، وكان أهل الأندلس يطلقون عليه اسم "ذنب الفأر"، واستعمل هذا السلاح في العديد من المعارك بالأندلس، واشتهر ابن فتحون³. بإجادة استعماله والإيقاع بالأعداء به.

ففي زمن المستعين أبو المقتدر سليمان بن هود (431-438هـ/1039-1046م)، وقعت معركة بين المسلمين والنصارى، وكانت من عادة المعارك يومها أن يقوم بين الفريقين مبارزة بين الفرسان والشجعان، فكانت الغلبة في المبارزة للنصارى، وسقط المبارزون المسلمون الواحد منهم تلو الآخر وسرّاً بذلك النصارى أيّما سرور وانكسرت نفوس المسلمين، حتى أصابهم الوجن وامتلك الخوف أفئدتهم؛ فما كان لمثل هذا الموقف إلا ابن فتحون، وما هي إلا لحظات حتى جاء بالفارس النصراني يجره بعدما اقتلعه من على فرسه بالسوط " فألقاه بين يدي المستعين"⁴.

6- الدبوس⁵: هو عصا قصيرة من الحديد ذات رأس مصنوع من كتلة حديدية مربعة أو مستديرة تستعمل في تهشيم الخوذة المعدنية، وهو سلاح يحمله الفارس في السروج تحت الأرجل.

ب- أسلحة قتال هجومية ثقيلة: يتضح من العنوان أن هذا النوع من السلاح يستخدم في حروب الحصار، والطبيعة الجغرافية الأندلسية تنتوع بين جبال وتلال ووديان، مما جعل الكثير من المدن قائمة على مرتفعات عالية.

¹ - مؤلف مجهول: المصدر نفسه، 61.

² - ابن خلكان: المصدر نفسه، 118/7.

³ - ابن فتحون: ذكر جعفر البيهقي محقق كتاب سراج الملوك أنه: لم يعثر على ترجمة أبي الوليد فتحون في المصادر المتيسرة 517، وبحثت أنا أيضاً فلم أجد.

⁴ - الطرطوشي: المصدر نفسه، 511-512.

⁵ - ينظر الملحق رقم 04.

ولضمان حمايتها من الخطر الخارجي تم بناء القلاع والحصون والأسوار مما يوجب الإلمام بالمعرفة الحربية المؤدية إلى إتقان فنون الحصار ورد الهجمات.

وكان لهذا النوع من السلاح -أسلحة القتال الهجومية الثقيلة- وخاصة زمن الإمارة والخلافة الآثار الإيجابية.

غير أن زمن الطوائف قد عرف تعطيل نظام الشواتي والصوائف في الفتح والغزو مما أدى إلى تعطيل أو التقليل من استعمال هذا النوع من السلاح، إلى زمن دخول المرابطين إلى الأندلس.

بذل المرابطون ما في وسعهم من جهد في استرداد العديد من المدن والقلاع، واجتهدوا في إتقان ما كان تحت أيديهم من أسلحة ثقيلة، "وقد اقتبس المرابطون كثيرا من آلات القتال عند ملوك الطوائف والأمويين والروم"¹؛ وتتجلى أسلحة القتال الهجومية الثقيلة في:

ب1- المنجنيق²: عُرِفَ هذا النوع من السلاح قبل مجيء الإسلام، ويعد سلاح خطير لما له من أضرار مادية وبشرية، وخصوصا البشرية. حتى أن الإمام الماوردي ذكر أنه: "يجوز لأمير الجيش في حصار العدو أن ينصب عليهم العرادات والمنجنيقات"³.

فالمنجنيق آلة ترمى بها الحجارة "ويستخدم لهدم الحصون بالحجارة الضخمة، أو لرمي الأعداء بالنبال، ولإحراق أماكن العدو بالنفط ونحوه"⁴.

ب2- العرادة: وهي آلة أصغر من المنجنيق، وظيفتها الأساسية "رمي السهام دفعة واحدة إلى المسافات البعيدة التي لا تصل إليها رميات الأقواس"⁵.

¹ - بلغيث محمد الأمين: المرجع نفسه، 39.

² - ينظر الملحق رقم 11 و 12.

³ - الماوردي: المصدر نفسه، 64. ابن هذيل: المصدر نفسه، 173.

⁴ - زيدان: المرجع نفسه، 189/1. فرج: المرجع نفسه، 408. عميرة: المرجع نفسه، 100. زغروت: المرجع نفسه، 181.

⁵ - عميرة: المرجع نفسه، 100. زغروت: المرجع نفسه، 170.

ب3- الدبابية: آلة من آلات الحرب، وهي أصغر من المنجنيق، على شكل مربع ولها عجل تُجرّ عليه؛ يدخل فيها الرجال فيدونون من الأسوار لينقبوها، وهي شبه برج متحرك، تغلف باللبود أو الجلود المنقعة في الخل¹؛ حتى لا تتأثر بالنار غير أن نقطة ضعف هذه الآلة، هي أن يصب عليها من أعلى السور سبائك الحديد المذاب فتحترق بما فيها، ويوجد في الدبابية عتاد خاص تابع لها لنقب الأسوار مع السلام.

ب4- الكبش²: هو آلة كالدبابية، ولكن له رأس في مقدمتها محمول بسلاسل يربط بها من موضعين؛ يتحصن بداخله، يستخدم في هدم الأسوار.

كل هذه الآلات الهجومية الثقيلة تعمل عملاً متكاملًا، حيث يقوم المنجنيق بحرق المواقع، وهدم التحصينات على مسافة بعيدة من موقع الهجوم، ثم يأتي دور الدبابية في الاقتحام من نقط الضعف التي أحدثها المنجنيق، وتساهم كذلك آلة رأس الكبش في هدم الأسوار والعبور إلى الداخل.

فكل هذه الأسلحة الهجومية الثقيلة لا يمكن الاستغناء عنها، وهي مركز قوة أي دولة في ذلك الزمان؛ وهذا ما ظهر جلياً في عصر الإمارة والخلافة في الأندلس على عكس عصر الطوائف.

حيث نلمس في الحروب التي دارت رحاها بين ملوك النصارى والطوائف أنها كانت حروباً دفاعية في أغلب الأحيان من جانب الطوائف.

والمرابطون في حد ذاتهم لما دخلوا الأندلس لم تكن لهم دراية بفن الحصار وما تم لهم ذلك إلا بعد الاستيلاء على سلطان ملوك الطوائف، واحتكاكهم بالنصارى المحاربين لهم، ومحاولاتهم العديدة لاسترجاع مدينة طليطلة بواسطة آلات الحصار سألفة الذكر.

وهذا ما نفهمه من كلام المراكشي لما وصف استرجاع المرابطين لمدينة طليطلة سنة (503هـ/1110م)، في استخدامهم لآلة رأس الكبش، حيث كان

¹ زيدان: المرجع نفسه، 189/1. فرج: المرجع نفسه، 408. زغروت: المرجع نفسه، 174.

² ينظر الملحق رقم 13.

" الوصول إلى سور المدينة يعسر بسبب الوادي المتصل بسورها، إلى أن خرق المسلمون السد"¹.

وكذا ما جاء وصفه عند ابن الكردبوس في محاولة القائد سيربن أبي بكر اللمتوني والقائد مزدلي بن محمد في استرجاع مدينة طليطلة، حيث شنوا الغارات "فهدموا ودمدموا وحرقوا"²، وكان ذلك سنة 507هـ/1113م.

فبالرغم من توفر كل هذه الآلات الحربية الثقيلة عند المسلمين وحكام الطوائف إلا أن النصارى قد استولوا على العديد من المدن والحصون والقلاع فما السبب في ذلك؟ هل هو ضعف المسلمين والقيادة العسكرية العليا، أم تفوق النصارى في العتاد والسلاح؟ أم هنالك أسباب أخرى؟

ج: أسلحة قتال دفاعية خفيفة.

لا تختلف أسلحة الدفاع الخفيفة عند النصارى والمسلمين، لا من حيث الشكل والحجم ولا من حيث الاستعمال، فقد ذكر المؤرخ ابن الكردبوس أسلحة النصارى الخفيفة واصفا إياها بقوله: "لبسوا الدروع الضافية، وتقلدوا السيوف الماضية، تقلسوا بالحديد"³؛ ويؤكد ذلك ليفي بروفنسال في قوله: "أن لباس الفارس الإسباني⁴ لا يختلف عن الفارس النصراني"⁵ الذي يخوض المعركة ضده.

والأسلحة الدفاعية الخفيفة هي آلات متحركة يحملها الجندي لا يمكن الاستغناء عنها في كل الأحوال، فقد عرفت المدركة العسكرية الأولى منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وتتقسم الأسلحة الدفاعية الخفيفة إلى:

ج1- **الدرع**: هو وسيلة تستخدم للحماية من ضربات العدو، فتزد الطعنات، وتقي لابسها السهام، يصنع وينسج من مواد مختلفة: "من الحديد والفولاذ والكتان"⁶ والدرع نوعان:

¹ - المراكشي ابن القطان، أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990م، 69.

² - ابن الكردبوس: المصدر نفسه، 121.

³ - ابن الكردبوس: المصدر نفسه، 92.

⁴ - ينظر الملحق رقم 10.

⁵ - Provençal Opit 145.

⁶ - فرج: المرجع نفسه، 418.

ج1.1- درع سابغة: وهي التي تغطي البدن بأكمامها الطويلة حتى الأنامل، وتعرف بالأذرع والأكف، وتمتد لتصل إلى نصف الساق أو ما يسمى بالسيقان، ومعها المغفر الذي يغطي الوجه، والبيضة التي تغطي الرأس والقفى. هذه الدرع السابغة: "تلازم القادة وحملة الأعلام وأهل الخطر في الحروب كالفرسان"¹.

ورغم الصناعة المتقنة للدرع السابغة، فنقطة الضعف فيها في العينين، حيث تمكن فارس عربي مسلم يسمى سعدارة، زمن المقتدر بالله (475هـ/1082م)، من الوصول إلى الطاغية ردميل؛ "حمل عليه فطعنه في عينيه فخر صريعا لليدين والفم"².

ج1.2- درع بتراء: وهي القصيرة التي بلا أكمام، بحيث تصل إلى أسفل الركبة، أو فوقها بقليل، وكان للرسول صلى الله عليه وسلم، درع بتراء. ج2- الترس: هو صفحة من الفولاذ مستديرة، يحملها المقاتل في اليد، ويتقي بها ضربات السيوف، أو السهام، أو الرماح.

واشتهر المرابطون بنوع من التروس يسمى بالدرق اللمطية؛ "المصنوعة من جلد البقر والسمك واللمط"³، والتي تمتاز بالجودة والصلابة، وكذلك: "لا تنفذها النشاب ولا تؤثر فيها السيوف"⁴.

د- أسلحة دفاع قتالية ثقيلة ثابتة.

تعرف منطقة الثغر الأعلى والأدنى بحكم مصابقتها لأراضي العدو تدابير عمرانية خاصة، تعرف بالعمارة الحربية أو العسكرية، حيث قامت الدولة الإسلامية في الأندلس عبر مراحل تاريخها المختلفة، بحماية الخطوط الدفاعية ضد أي هجوم يقع عليها من الشمال، بإقامة قواعد عسكرية.

¹ - زغروت: المرجع نفسه، 177.

² - الطرطوشي: المصدر نفسه، 510.

³ - بلغيث: المرجع نفسه، 39. زغروت: المرجع نفسه، 180.

⁴ - حناوي: المرجع نفسه، 278. ينظر الطرسوسي: تبصرة أرباب الألباب، 14.

فقد كان الخط: "الدفاعي الأول في الشمال وهو نهر الإبرو، ولهذا كانت سرقسطة تسمى بالثغر الأعلى، وتليها جنوبا مدينة طليطلة التي كانت مركزا للخط الدفاعي الثاني وهو نهر التاجه، ولذا سميت بالثغر الأدنى"¹. وكان تعزيز هذان الخطان بمجموعة من التحصينات²، التي تظهر جليا في الحصون والقلاع والقصبات والأسوار. وهي وسائل مادية ثابتة لا تقل أهمية عن السلاح نفسه.

وقد لعبت هذه التحصينات أدوارا هامة في التاريخ العسكري، وكان الهدف من إقامتها:

أولا: "الاستفادة من قوة الوحدة العسكرية المتمركزة في الموقع المحصن إلى أقصى حد ممكن؛ وثانيهما منع العدو من الاستفادة من إمكاناته لإحراز أي تفوق"³.

لقد حافظ المسلمون الفاتحون على المنشآت العمرانية العسكرية التي وجدوها بالأندلس، فقد كانت الأبواب والأسوار والخنادق من: "الخصائص العسكرية البارزة في مدينة العصور الوسطى"⁴.

وكانت تلعب دور الحماية ومركز القوة بالنسبة للمدافع، حيث يسهل رمي المهاجمين بالسهم وبالقذائف المشتعلة، وهكذا صارت عملية: "محاصرة القلاع لإجبار المدافعين على الاستسلام...عملية طويلة، وبرزت خطة إرهاب العدو واستنزاف قوته دون الاشتباك معه"⁵. وقد أدرك ألفونسو هذا الأمر، فعمد إلى اتباع سياسة الاستنزاف الإقتصادي، فقد أخبر به وزراءه بقوله: "لا يصح ذلك إلا بضعف الحال والمطاوله، حتى إذا لم يبق مال ولا رجال، أخذناها بلا تكلف"⁶.

¹ - العبادي: صور لحياة الحرب والجهاد، 83.

² - التحصينات: مجموعة منشآت وموانع إصطناعية تقام لتقوية موقع ما، وحماية من الهجمات المعادية. الهيثم الأيوبي: الموسوعة العسكرية، 256/1.

³ - الهيثم الأيوبي: المرجع نفسه، 256/1.

⁴ - حناوي: المرجع نفسه، 288.

⁵ - ابن خلدون، جمال عبد الملك: الإستراتيجية في العصر الذري من الردع إلى حرب النجوم، دار الجيل

بيروت، 1987م، ط2، 18.

⁶ - الأمير عبد الله: المصدر نفسه، 73.

فقد كان يدرك إدراكا تاما قوة العمارة العسكرية والدخول في معركة خاسرة فلجأ إلى خطة تمثلت أنه كان يرسل في كل عام غارات حيث " يسبون ويغنمون ويحرقون ويهدمون ويأسرون"¹.

وحقق هدفه بإضعاف القوة الاقتصادية والبشرية في مدن الثغرين، وصار ملوك المملكتين يسلمون الحصون وحتى المدن الكبرى بعد حصار طويل قد يمتد إلى غاية سبع سنوات.

ومن هذا الباب وجب التطرق للتعريف بالعمارة العسكرية وهي كالتالي:

د.1- الخنادق: كما سبقت الإشارة إليه في الجغرافية الطبيعية، أن معظم مدن الثغرين تشرف أو تخترقها أنهار كبرى، أو أودية مما يكسبها الحماية الطبيعية بإنشاء الخنادق، التي تمنع العدو من جلب أبراج الكباش، وسلالم الحصار، ورغم ذلك يمكن أن يجتاز العدو الخندق" بأن يردموا الجوانب الضعيفة فيها بالأخشاب والتراب"².

د.2- الأسوار والأبراج والأبواب: لا يمكن الحديث عن الأسوار والأبراج والأبواب دون أن نربطها بالحصن³ أو القلعة، فهي أجزاء من العمارة أو البناء العسكرية.

فيعد الحصن القاعدة الأمامية لكل مدينة من مدن الثغر؛ فقد كان السور يبنى بمواد صلبة مختلفة، فمنها السور ذو الرخام الأسود والأبيض مثل طركونة⁴، ويمكن أن يكون السور صخري مثل طرطوشة⁵، وسرقسطة⁶. ويمكن أن يكون للمدينة سوران⁷ مثل وشقة⁸.

¹ - ابن الكردبوس: المصدر نفسه، 78.

² - الهيثم الأيوبي: المرجع نفسه، 817/1.

³ - ينظر الملحق رقم 16.

⁴ - الحميري: المصدر نفسه، 392.

⁵ - الحميري: المصدر نفسه، 391.

⁶ - الحميري: المصدر نفسه، 317.

⁷ - ينظر الملحق رقم 17.

⁸ - الحميري: المصدر نفسه، 612.

وأما مدينة لارده " فحصنها منيع فلا ترام بقتال ولا يطمع فيها بطول حصار"¹ فكل المدن الثغرية الأندلسية تتصف بصفة المناعة العسكرية. وقد قام المرابطون بتطوير بناء الأسوار حيث " عمدوا إلى الإكثار من الزوايا الداخلية والخارجية بالسور بحيث تتخذ شكل خطوط منحرجة منكسرة"²، قد يتساءل يتساءل البعض عن طريقة البناء الجديد وما هدفها العسكري في تحقيق النصر على الأعداء خاصة وأن السور يعد الخط الدفاعي الأول، ويفسر الدكتور السيد عبد العزيز سالم في كتابه المساجد والقصور أن هذا النظام في البناء يجعل الأعداء يتقدمون داخل إحدى الزوايا ثم يندفعون عليهم من أعلى الأسوار على الدروب فيفتكون بهم فتكا ذريعا.

وكان تأمين السور يتم" بالأبراج البارزة في جدرانه وزواياه المتصلة بعضها ببعض ليسهل استخدامها في ضرب الأعداء"³. وهذا ما ذكره الحميري لوصفه لمدينة لارده حيث يقول:" ولا تخلو ضيعة منها أن يكون بها برج..يمتتع فيها العامرون لها من العدو"⁴. والمتأمل للأبراج ذات الطابع العسكري يجدها تختلف في شكلها من المستدير⁵ إلى المربع⁶ إلى الخماسي.

ويرجع هذا الاختلاف في البناء العسكري إلى تفادي الأضرار المادية والبشرية داخل الحصن أو القلعة أو التقليل منها، فكانوا يفضلون الأبراج المستديرة التي " تعطي مدى أوسع للإضرار بالعدو"⁷ والسطح يرد" طلاقات المقذوفات بشكل مؤثر"⁸.

¹ - الحميري: المصدر نفسه، 508.

² - زغروت: المرجع نفسه، 190.

³ - محمد رضا عبد العال: الثغر الأعلى الأندلسي في القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، رسالة دكتوراه، تحت إشراف: أ.د/ محمد إسماعيل عبد الرازق، جامعة عين شمس القاهرة، 1409هـ/1988م، 356.

⁴ - الحميري: المصدر نفسه، 508.

⁵ - ينظر الملحق رقم 18.

⁶ - ينظر الملحق رقم 19.

⁷ - زكي عبد الرحمن: العمارة الحربية في العصور الوسطى بين العرب والصليبيين، المجلة التاريخية المصرية، المصرية، القاهرة، مج07، 1957، 125.

⁸ - زكي عبد الرحمن: المرجع نفسه، 130.

وقد وجدت بالأسوار المشربيات¹ الحجرية، وكذا الأبواب، هذه الأبواب كان الواحد منها "مقوى بالواح من الحديد وهذا الباب مزود بجسر للعبور عليه من فوق الخندق"². وكانت مدينة طرطوشة "لها أربعة أبواب وأبوابها كلها ملبسة بالحديد"³. بالحديد"³.

لقد كان الحصن الملجأ الوحيد للسكان عند الشعور بالخطر، لتوفر الحماية العسكرية فيه؛ فالوظيفة الحقيقية لحصون الثغور هي وظيفة عسكرية ودفاعية يتم من خلالها حراسة الحدود، ورغم مناعتها وصلابتها إلا أنها سقطت في أيدي النصارى فما أسباب ذلك؟

يذكر بعض المؤرخين المحدثين أن حصون الثغور تحولت وظيفتها العسكرية والأمنية خلال القرن الخامس الهجري إلى "وظائف أخرى لها علاقة بتأطير المجال اقتصاديا وبشريا وعمرانيا"⁴.

فقد جاء في إحدى الفتاوى النص التالي: "عمن سكن حصنا وبيده ما يشتري به سلعا يضعها في بيته ويرجو فيها الأرباح ويبيعها في وقت سوقها، ثم يشتري كذلك أبدا لكي يحصل له ما يقيم به أمره، وهو في الحصن له منفعة لا ضرر عليه، فيه، بل هو من أهل الدين والفضل، هل يجوز هذا الفعل أم لا؟ فأجاب: أما من كان زمنا فلا حق له في الحصن، لأنه إنما يسكن الحصون من فيه القوة على الحرس والعسس والخروج عند وقوع النفير في الحصن، إلا أن يكون الفاضل الذي يستغنى عنه... أما حرف التجارة فليس من شأن المرابطين"⁵.

ولم يتوقف الأمر عند التجارة فقط، بل تعدى إلى النشاط الزراعي، حيث جاء ذكر فتوى أخرى لها نفس حكم الفتوى السابقة نصها "حصن حبست عليه أرض

¹ - المشربيات: عبارة عن أعداد دعائم يتقارب بعضها من بعض وتحمل فوقها حواجز بارزة، وبين كل دعامتين فتحة مقفولة بباب مستور، يمكن أن تصوب السهام منه... كما يمكن أن يصب على رؤوسهم الزيت أو الماء المغلى أو غير ذلك من المواد المؤذية. زكي عبد الرحمن: المرجع نفسه، 110.

² - محمد رضا عبد العال: المرجع نفسه، 356.

³ - الحميري: المصدر نفسه، 391.

⁴ - حناوي: المرجع نفسه، 154.

⁵ - الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف: د/ محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، 1400هـ/1900م، 237-236/7.

تثبت الحلفاء ثم حولت إلى الزراعة...ضيقوا على الحصن حتى سقوا الزرع به حتى منعوا بهائم الحصن من الرعي"¹.

ومما يؤكد ذلك الأمثال الشعبية الأندلسية التي كانت سائدة في ذلك الزمان والتي تعكس الواقع الاجتماعي المعيش، حيث جاء فيها: "حصني ولا من يقسني"². فقد تحولت الحصون من دور الحراسة والمرابطة وحماية الأراضي الإسلامية إلى أماكن للربح والتجارة، وتخلي رجال الحماية عن وظيفتهم الأساسية، وقد علم النصارى بوضعية المسلمين، وعلى الخصوص ألفونسو. فقد كان يأخذ الحصن تلو الحصن دون عناء وشقاء، وهذا ما عبر عنه ابن بسام واصفا مملكة بني ذي النون حيث يقول: "وفغر الطاغية أدفونشو بن فردناند فمه على ثغوره المنغورة فجعل وقته يطويها طي السجل للكتاب"³.

واستعمال كلمة الطي دلالة واضحة على سهولة الحصول عليها، ولم يتوقف الأمر على الاستيلاء على الحصون، بل نجد القرن الخامس الهجري قد شهد نوعا من مواد البناء تستعمل في ترميم الأسوار والحصون والقلاع. فقد استعملت "الطابية بشكل أوسع خلال الطوائف نظرا لسرعة إنجازها ولقلة تكاليفها"⁴.

فكان يسهل على الحملات العسكرية النصرانية خرق أسوار الحصون والتقدم نحو المدن الكبرى، وحتى عند استيلائهم على الكثير من الحصون أدخلوا عليها مجموعة من الترميمات، بحيث تعذر واستعصى على الجيش المرابطي رغم شجاعة قواده وبسالة جنوده، من استرجاع الكثير من الحصون، فقد كانت

¹ - الونشريسي: المصدر السابق، 37/7.

² - الزجالي، أبو يحيى عبيد الله بن أحمد القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، تحقيق وشرح ومقارنة، د/ محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، طبع هذا الكتاب بحروف الأستاذ أحمد الأخضر غزال، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، فاس المغرب، جمادى الأولى، 1391هـ/يوليو 1971م، 191/2.

³ - ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتري: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح إبراهيم مصطفى البديري، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1419هـ/1998م، 97/4. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، تح أحمد كمال زكي، مراجعة د/ محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980م، 442/23.

⁴ - حناوي: المرجع نفسه، 248.

الحصون أداة فعالة في أيدي النصارى تضمن توغلهم في بلاد الأندلس، وكانت مظهرا من مظاهر انتكاس القيادة العسكرية في الثغرين عند المسلمين.

المبحث الثاني: المواجهات العسكرية في الثغرين.

أ/ المواجهات العسكرية ما بين (400-479هـ/1006-1086م)

ب/ المواجهات العسكرية ما بين (479-520هـ/1086-1126م)

أ/ المواجهات العسكرية ما بين (400-479هـ/1006-1086م)

كانت الفترة الممتدة ما بين (400-479هـ/1006-1086م)، فترة اتصفت بصفة مراقبة بين عمال النواحي الأندلسية، وقد قام حكام الثغور " إلى اعتبار أنفسهم مستقلين استقلالاً كاملاً وإليهم صارت مهمة الدفاع عن مناطق الحدود مع إسبانيا النصرانية"¹.

وبدأت الصراعات ذات الطابع العسكري تظهر بين عمال المناطق -قبل ظهور مصطلح ملوك الطوائف- منذ إعلان إلغاء الخلافة الإسلامية في الأندلس (422هـ/1031م)، وانقسام الدولة إلى مجموعة ممالك فيما بعد، فصار كل واحد يسعى إلى توسيع ناحيته على حساب جيرانه مستعملاً في ذلك أسلوب الحملات العسكرية، التي لم تنصف بالطابع العسكري الحقيقي، بل هي أقرب إلى حرب العصابات منها إلى الحملات العسكرية.

فكانت تحشد القوى، وتتقدم نحو ناحية من النواحي الغنية بالموارد الاقتصادية وذات الموقع الاستراتيجي.

ولم يكن الحكام² والملوك هم المؤججون لمثل هذه العمليات بمفردهم، بل لقد ساهم سكان النواحي في هذه العمليات التصعيدية، وهذا ما نستشفه من المصادر

¹ - نعنعي عبد المجيد: الإسلام في طليطلة، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت.ط)، 104.

² - ينظر الملحق رقم 01 و 02.

والمراجع في قضية مدينة وادي الحجاره¹، والتي كانت بداية للفتنة والمواجهات بين سليمان بن هود ويحي بن إسماعيل، والتي دامت: "من سنة خمس وثلاثين إلى آخر سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة"².

ومن خلال تحليلنا لهذه المواجهات والتي بلغ عددها سبع عمليات، والتي كانت من نوع الإغارة، قد شارك فيها بالإضافة إلى سليمان بن هود ويحي بن إسماعيل، كل من فرناندو³ ملك قشتالة وغازسية⁴ ملك نفارة.

فقد وقف فرناندو مع المأمون في استرجاع مدينة وادي الحجاره في أول الأمر ولكن بطريقة ذكية اعتمدت على السلب والنهب والقتل للطرف الآخر، في عقر داره، وكان يتخير من الوقت زمن الحصاد للاستفادة من الغلات من جهة، ومن المال المبذول من طرف المأمون.

ولم يخرج سليمان بن هود لصد هذه الغارة النصرانية، ويمكن رد ذلك إلى غياب الروح العسكرية الحقيقية، "رغم سابق عهده من كبار الجند بالثغر الأعلى"⁵ بل لجأ هو وجيشه إلى الحصون؛ "وتركهم - أي النصارى - يجولون في الأرض شهرين كاملين"⁶؛ ولم يتوقف الأمر عند اعتداءات النصارى، بل إن المأمون قد قام "بالعبث فيما يليه من بلاد ابن هود ولم يقصر في إفساد ما وطئ من أرض المسلمين"⁷.

¹ ابن عذارى: المصدر نفسه، 277/3. ابن الخطيب: المصدر نفسه، 178. عنان: دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، 271. نعنعي: المرجع نفسه، 129. الزركلي، خير الدين: الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، 7، 1986م، 138/8. النشار محمد محمود: دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 2007، 13.

² ابن عذارى: المصدر نفسه، 282/3.

³ فرناندو: ابن سانشو الكبير، كان يملك قشتالة وليون جليقية، كان يطمح إلى أن يخضع ملوك الطوائف، الموسوعة العسكرية 206/3.

⁴ غازسية: (سانشو الأول *راميريز*) ملك أراجونة ونافارا... وبتشجيع من البابوية خاض القتال ضد دويلات الطوائف المتاخمة لحدوده الجنوبية، ونظم على سرقسطة ووشقة إغارات مستمرة دامت حوالي عشرين عاما= وكان يساعده في هذه العمليات إقطاعيو جنوب فرنسا... قتل أثناء حصاره لمدينة وشقة، الموسوعة العسكرية 206/3.

⁵ ابن الخطيب: المصدر نفسه، 170.

⁶ ابن عذارى: المصدر نفسه، 278/3. ابن الخطيب: المصدر نفسه، 178. عنان: المرجع نفسه، 271. الزركلي: المرجع نفسه، 138/8. نعنعي: المرجع نفسه، 131. النشار: المرجع نفسه، 14.

⁷ ابن عذارى: المصدر نفسه، 278/3.

ويمكن تفسير ذلك، أن سليمان بن هود كان يخشى خوض المواجهة العسكرية على جبهتين، جبهة النصارى، وجبهة المسلمين، الممثلة في المأمون وجيشه.

فقد كان تقدير الموقف العسكري لا يسمح بذلك، ويفسر ابن عذارى مثل هذا الموقف غير التفسير العسكري فيقول: "وصب الله تعالى على أهل الثغور من الجبن عن العدو... فلا يكاد أحد منهم - أي من المسلمين - يلقي نصرانيا في قرار الأرض إلا يوليه الدبر... حتى تعود أعداء الله ذلك منهم"¹.

ولم تتوقف الغارات ما بين المملكتين، بل في السنة الموالية، بذل سليمان بن هود الكثير من المال لفرناندو الذي غير حليفه، وسار " بجيشه فخرج بعدد عظيم إلى ثغر طليطلة، فأفنى حماته ورجاله، وعاث في بلادهم"²؛ وقام باسترجاع الحصون التي كانت تحت نفوذ المأمون، والتي كانت في سابق عهدها تحت نفوذ سليمان بن هود.

وقد حاول أهل طليطلة ساعين إلى الصلح وإيقاف هذه الغارات، بإرسال بعثة من العلماء إلى سرقسطة تهدف إلى المصالحة والمهادنة، ونفس العمل قامت به عند رجوعها إلى طليطلة، لما يترتب عن هذه الغارات من أخطار جسيمة وضياع للأرواح والممتلكات.

ولم تمض سنة واحدة، إلا كانت غارة جديدة على أملاك بني ذي النون وعلى مدينة سالم بالتحديد، بمساعدة فرقة من النصارى، وحاول المأمون الاستعانة بابن عباد، لكن دون جدوى، فسارع إلى مدينة سالم يريد فك قيدها واسترجاعها، مستعينا في ذلك بالملك النصراني غارسيه، محاولا في ذلك إحداث شيء من اختلال التوازن والقوى في صفوف جيش سليمان بن هود.

¹ - ابن عذارى: المصدر نفسه، 3/ 280.

² - ابن عذارى: المصدر نفسه، 3/ 280. ابن الخطيب: المصدر نفسه، 178. عنان: المرجع نفسه، 271. نعنعي: المرجع نفسه، 132. النشار: المرجع نفسه، 15.

توجه غارسيه إلى مدائن الثغر الأعلى؛ " فأخل بأعمال ابن هود ما بين تيطلة ووشقة"¹. وتمكن العدو من حصار قلعة قلهرة أو -قلبرة- ، والاستيلاء عليها سنة 437هـ/1045م، وضمها إلى مملكة غارسيه².

هذه المناورة³ كانت في غير محلها، ولم تعط النتيجة المرغوب فيها، فقد كان المأمون يأمل خروج ابن هود والنصارى عن مدينة سالم دفاعاً عن الحصون والقلاع الواقعة ما بين تيطلة ووشقة، والتي كانت تعاني من الغارات النصرانية رغم توفر القوة العسكرية عدداً وعدة للدفاع عنها. إلا أن سليمان بن هود: " قد حاد عن لقائه- أي عن لقاء غارسيه- على ما كان عنده في ذلك الوقت من الجموع ووفور الأعداد"⁴؛ واقتصر جهده العسكري على: " ضبط الحصون والقلاع وشحنها بالأطعمة والرجال"⁵، ولم يعط أدنى اهتمام لرعيته التي كانت تسعّر ناراً.

ولم يكن من فرناندو نتيجة العمل الذي قام به أخوه شانجه، إلا التقدم نحو الثغر الأدنى، وبالضبط إلى عاصمة الثغر طليطلة، حيث خرج: " في خلق كثير... حتى غصت بهم واضطربت أحوال أهلها"⁶؛ فعندما علم المأمون وكان بمدينة سالم، لم يحرك ساكناً لولا ضغط جنوده ورعيته، لما خرج للقاء فرناندو وجيشه، وأمام قوة الجيش النصراني وعدم قدرته على المواجهة، لم يجد بداً إلا أن يطلب الهدنة والصلح مقابل المال؛ و" لم يجد رسل أهل طليطلة عند فرناندو وأصحابه النصراني قبولاً لما عرضوه عليهم من الصلح"⁷.

بعد هذا السرد الوجيز لهذه الحقائق العسكرية، يتبادر لذهن الباحث التساؤل التالي: كيف تحقق النصر لابن هود في الاستيلاء والدخول إلى مدينة سالم؟ وكيف

¹ - ابن عذاري: المصدر نفسه، 3/ 281. النشار: المرجع نفسه، 16.

² - ابن الخطيب: المصدر نفسه، 178.

³ - المناورة: عنصر من عناصر القتال، ومبدأ من مبادئ الحرب... والمناورة الفعالة تفقد العدو توازنه مع استثمار الفوز والحفاظ على حرية العمل وتقليل فرص التعرض للخطر، مع وضع العدو في موقع ضعيف. العميد ابن طوالة، سعد بن مزعل: فن القيادة والمهام القتالية، مجلة الحرس الوطني، الرياض، ع 148، جمادى الآخر 1415هـ/ نوفمبر 1994م، 59.

⁴ - ابن عذاري: المصدر نفسه، 3/ 281.

⁵ - ابن عذاري: المصدر نفسه، 3/ 281.

⁶ - ابن عذاري: المصدر نفسه، 3/ 281.

⁷ - ابن عذاري: المصدر نفسه، 3/ 281.

تمكن فرناندو من الدخول إلى مدينة طليطلة، وحامكها وقائدها غائب عنها، مع ما عرف عنها من قوة وحصانة؟

يظهر عنصر جديد في الجيش الإسلامي داخل صف السلطة الحاكمة، ألا وهو الخيانة. فقد قام عبد الرحمن بن إسماعيل بن ذي النون أخو يحيى (المأمون) بالتواطئ مع سليمان بن هود، وصار قائداً من قواد جيشه، وهو الذي دلَّه¹؛ ورافقه في جل أعماله العسكرية في الثغر الأدنى، حيث "قدم له معلومات وفيرة عن طرق ومسالك المنطقة"².

لا يمكن الجزم هنا بأن القوة العسكرية لجيش ابن هود كانت في المستوى الريادي لرسم الخطة العسكرية، ولا لتقدير الموقف العسكري، ولا للقتال المتلاحم، والتي تمثل المراحل الأساسية في سير أي مواجهة عسكرية، وإنما الغدر والحيلة هي التي ساعدت على تحقيق النصر في مدينة سالم، رغم محاولة الحامية في رد الهجومات المتكررة، واستبسالهم في القتال خارج المدينة مع جيش سليمان بن هود، والذي: "قتل منهم جملة"³.

ونفس الأمر وقع عند دخول فرناندو مدينة طليطلة، أثناء غياب المأمون، فقد قام: "ابن عم ذي النون ليده على عورات البلاد"⁴، ولهذا لم يقبل فرناندو بالصلح والمهادنة ودفع المال إليه.

وفي العام الموالي قرر المأمون استئناف الحرب لاسترجاع ما فقده، وأرسل هدايا ومالا إلى شانجة، فخرج هذا الأخير في غارة: "إلى بلاد ابن هود فوطأها وأغلظ في إهلاكها، وأخل بالثغر الأعلى، وفعل فعل أخيه فرناندو"⁵.

ففي ثلاث سنوات متتالية من الغارات بين المملكتين، نجد الانهيار الاقتصادي قد لازم المملكتين، مع عملية السلب والنهب والاستنزاف الاقتصادي الذي مارسه

¹ - ابن عذارى: المصدر نفسه، 3 / 281.

² - ننعني: المرجع نفسه، 280.

³ - ابن عذارى: المصدر نفسه، 3 / 280. ننعني: المرجع نفسه، 133.

⁴ - ابن عذارى: المصدر نفسه، 3 / 281.

⁵ - ابن عذارى: المصدر نفسه، 3 / 282.

فرناندو، لتوفير المغنم التي: "تعيّنه في أهدافه من أجل تأكيد وتوطيد نفوذ مملكته"¹.

ولم يرد خلال السنوات الثلاثة، من الاستيلاء على أي مدينة أو قلعة، أو ضم بعض الأراضي إلى مملكته، وهذا يعكس جليا عدم القدرة العسكرية لهذا الملك النصراني، وإنما كان هدفه الأول هو إضعاف القوة الاقتصادية للمسلمين، عن طريق السلب والنهب والحرق والجزية؛ وإذكاء نار الفتنة في قتال المسلمين بعضهم لبعض، مما يؤثر سلبا في إنقاص القوة البشرية في صفوف المسلمين. ويمكن أن نطلق على العمل الذي قام به فرناندو خلال السنوات الثلاثة بالعملية الاستطلاعية المعروفة عسكريا بعملية الاستخبارات²؛ والتي كان يهدف من ورائها الاستعداد إلى عملية الاسترداد الكبرى لإسبانيا الإسلامية.

ولم تتمكن القيادة العسكرية في الثغر الأدنى من توسيع رقعتها الجغرافية على حساب الممالك المجاورة، ناحية الشرق لقوة هذه الأخيرة، ولتحالفاتها مع جيرانها النصارى، كما كان الحال بالنسبة للمناطق الجنوبية، المتمثلة في مملكة غرناطة لقوتها، ولمساندة بربر الأندلس لها.

أما من ناحية الغرب فقد وقعت بين المأمون وبني الأفطس حروب كثيرة³ استنزفت طاقة المسلمين ولم تأت بفائدة تذكر.

ومما زاد الطين بلة في أمر الممالك الأندلسية، أن الصراع على السلطة والتكالب عليها، لم يتوقف عند حدود الجيران، بل تعداه إلى صراع الأشقاء داخل المملكة الواحدة، وقد تبين ذلك الأمر، في أسرة بني هود في الفترة الممتدة ما بين 438-478هـ/1046-1085م، حيث تظهر عمليات الإغارة من جديد.

فقد قام أحمد بن سليمان بضم أملاك إخوته: "واحتال عليهم وسجنهم"⁴، ولم يبق إلا الأخ الأكبر، يوسف بن سليمان بن هود، والذي يعرف بحسام الدولة.

¹ - النشار: المرجع نفسه، 18.

² - الاستخبارات: هي جهود القائد المنتظمة لجمع وتحليل المعلومات عن بيئة العمليات والعدو. العميد ابن طوالة:

المرجع نفسه، 58.

³ - ابن عذارى: المصدر نفسه، 3/ 283.

⁴ - ابن عذارى: المصدر نفسه، 3/ 222.

لكن القيادة العسكرية في الثغر الأعلى عرفت موقفا عسكريا إيجابيا ومشرفا تجلت فيها الأسس القيادية التي نصت وقامت عليها المدرسة العسكرية الإسلامية، ومنها تلقب أحمد بن سليمان بالمقتدر¹؛ حيث تمكن هذا الأخير من استرجاع مدينة بربشتر² من يد النورمانديين، التي اصطلحت المصادر التاريخية الأندلسية على تسميتهم الببطين³، وعند البعض الأردمانتيين⁴، البيطش⁵، والأردنمليس⁶، وكان ذلك سنة 456هـ/1064م.

فقد قاموا بمحاصرة هذه المدينة أربعين يوما، وكانت من أعمال يوسف بن سليمان، ولم يتمكن هذا الأخير من الدفاع على هذه المدينة، وتركها أحمد بن سليمان تلقى مصيرها و" قصر... في حمايتها ووكّل أهلها إلى نفوسهم"⁷. فلم تقف الحامية العسكرية مكتوفة الأيدي في بربشتر، بل كانت محاولات لرد الهجوم، وذلك لما شدّد جيش الأردمانتيين حصارها فقد "كان أهلها يقاتلونهم خارج مدينتهم"⁸ وتمكنت الحامية من قتل خمسمائة إفرنجي⁹، ثم يعودون إلى داخل المدينة.

وتمكن العدو من الدخول إلى المدينة على إثر حادث وقع في صفوف الحامية الإسلامية، حيث ظهرت الخيانة من جديد، فقد كانت هناك قناة للمياه تمد المدينة وهي عبارة عن "سرب تحت الأرض من النهر حتى يدخل إليها فيخترقها"¹⁰

¹ - البكري: المصدر نفسه، 95. ابن بسام: المصدر نفسه، 122/3. ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله: الحلة السبراء، تح حسين مؤنس، دار المعارف القاهرة، ط2، 1985م، 247/2. الحميري: المصدر نفسه، 91.
² - بربشتر: مدينة من بلاد بربطانية... من أمهات الثغور الفائقة في الحصانة والامتناع... وعينا من عيون المدائن. البكري: المصدر نفسه، 92. الحموي: المصدر نفسه، 1/141. ابن غالب: المصدر نفسه، 286. ابن بسام: المصدر نفسه، 3/53-54. الحميري: المصدر نفسه، 90.
³ - البكري: المصدر نفسه، 93.
⁴ - ابن عذارى: المصدر نفسه، 3/225.
⁵ - الحميري: المصدر نفسه، 90.
⁶ - المقرئ: المصدر نفسه، 5/340.
⁷ - المقرئ: المصدر نفسه، 5/340.
⁸ - ابن عذارى: المصدر نفسه، 3/225. المقرئ: المصدر نفسه، 5/340. عنان: المرجع نفسه، 275. خليفة حامد محمد: يوسف بن تاشفين، دار القلم دمشق، ط1، 1424هـ/2003م، 155.
⁹ - المقرئ: المصدر نفسه، 5/342.
¹⁰ - ابن عذارى: المصدر نفسه، 3/225. المقرئ: المصدر نفسه، 5/342.

فخرج رجل من المدينة ودلهم على ذلك " فساروا إليه وهدموا وحالوا بينه وبين الاتصال بقم السرب فعدم أهلها الماء، ولم يكن لهم صبر على العطش"¹. وكانت من أسباب دخول الروم عليهم عنوة وارتكبت أبشع المجازر التي تنعدم فيها الإنسانية، فقد سجلت المصادر التاريخية المتعددة وقائع الحادثة بعبارات وأشعار تدل على فظاعة الموقف حتى أصبحت تعرف في التاريخ الأندلسي بمأساة بربرشتر.

وقد أطل ابن بسام في وصفه لهذه المأساة منها هذه المقاطع التي تصور بعض الملامح اللاإنسانية في تعامل النورمانديين جاء قوله: "دماء تسفك، وستور تهتك، وحرم تنتهك، ونعم تستهلك، وأقفاء تصفع، وأعضاء تقطع، وأعياء ترتكب، وأثاث ينتهب، ومصاحف تمزق، ومساجد تحرق"²، وأما المقطع الثاني فجاء قوله فيه: "وقد سيقت النساء والولدان ما بين عارية وعريان، قوداً بالنواصي إلى كل مكان، طورا على المتون وطورا على البطون، ومشيجة الرجال مقرنين في الحبال مصفدين في السلاسل والأغلال... إن استرحموا لم يُرحموا، وإن استطعموا لم يُطعموا، وإن استسقوا لم يُسقوا، وقد طاشت أحلامهم، وذهلّت أوهامهم، وسخنت أعيانهم، وتغيّرت ألوانهم"³.

كل هذه الفظائع والأعمال الوحشية جعلت المقتدر يتقدم بكل نخوة عربية إسلامية لصد العدوان ولغسل العار الذي لحق بالمسلمين فجاءت المواجهة العسكرية بجميع أسسها وقواعدها. فقد قام بإعلان النفير العام للجهاد⁴، لكافة بلدان بلدان الأندلس؛ "وجاءه منهم خلق عظيم لا يحصى عدده"⁵، كما بعث له حليفه ابن عباد "تحو من خمسمائة فارس، مقدمته من شداد البرابرة وغيرهم من أبطال الأندلس"⁶.

¹ - ابن عذارى: المصدر نفسه، 3/ 225. المقرئ: المصدر نفسه، 5/ 342. عنان: المرجع نفسه، 275. خليفة: المرجع نفسه، 156.

² - ابن بسام: المصدر نفسه، 3/ 114.

³ - ابن بسام: المصدر نفسه، 3/ 114-115.

⁴ - ابن عذارى: المصدر نفسه، 3/ 227. ابن الخطيب: المصدر نفسه، 171. عنان: المرجع نفسه، 279.

⁵ - ابن عذارى: المصدر نفسه، 3/ 227.

⁶ - ابن بسام: المصدر نفسه، 3/ 122.

كما انضم إليه "سنة آلاف من الرماة العقارة"¹؛ وبعد تجمع هذه الحشود العسكرية بدأت عملية الحصار. وهنا تأكد للنورمانديين عدم قدرتهم للتصدي لهذه المواجهة، فأوصدوا الأبواب.

وهنا انتقل المقتدر إلى أسلوب ثان من العمليات العسكرية، وهو أسلوب العمليات الهجومية، باستعمال الأسلحة الهجومية الثقيلة من المنجنيق والدبابة والكبش، حيث قاموا بثقب الأسوار المنيعة تحت حماية الرماة، ولقد سبق الذكر في أن بعض السهام والرماح التي تمكن الجندي من الإطاحة بالعدو من البرج أو من على دروب السور؛ وهذا ما عبر عنه ابن عذارى دون المصادر الأخرى بقوله: "وأمر الرماة أن يتقفوا السور لئلا يمنع الكفرة النقابة من النقب، فكان الروم لا يخرجون أيديهم من فوق السور"².

وتمكن المسلمون من إحداث الثقب في السور، بل تعدى الأمر إلى أنهم "أطلقوا النار في الدعائم فوقعت تلك الشقة بهم"³، وتمكن المسلمون من اختراق صفوف العدو، ونشب القتال بينهم وبين النصارى، وبلغ عدد القتلى في صفوف النصارى على ما ذكره ابن عذارى بألف فارس، وخمسة آلاف راجل، مقابل خمسين من صفوف المسلمين. وعلق عنان على ما ذكره ابن عذارى بأن الأمر مبالغ فيه. إلا أن ابن حيان وهو شاهد عيان لتلك المرحلة، ذكر أنه "أصيب على منحة النصر المتاح... نحو الخمسين... وقتل فيها من أعداء الله الكافرين نحو ألف فارس وخمسمائة راجل"⁴

فلم تتوقف المواجهات العسكرية عند هذا الحد، بل قامت عمليات مطاردة للعدو الذي تمكن من الفرار من ناحية أخرى، فالمسلمون قد "حملوا حملة راجل"⁵.

وبهذه الخطة العسكرية والتي شملت على عمليات عسكرية متنوعة من حصار وهجوم ودفاع ومطاردة، تمكنت من خلالها الجيوش الإسلامية من استرجاع مدينة

¹ - ابن عذارى: المصدر نفسه، 3/ 227. ابن الخطيب: المصدر نفسه، 171

² - ابن عذارى: المصدر نفسه، 227.

³ - ابن عذارى: المصدر نفسه، 227.

⁴ - ابن بسام: المصدر نفسه، 3/ 123.

⁵ - ابن عذارى: المصدر نفسه، 227.

من مدن الأندلس المشهورة بالحصانة والقوة من أيدي النصارى في الثامن
خلون من جمادى الأولى سنة 457هـ/1063م.¹
وقد غنم المسلمون الغنائم الكثيرة نحو "خمسة آلاف سبية... وألف فرس وألف
درع وأموال كثيرة، وثياب جلييلة وعدة وسلاح"²؛ وبهذا العمل العسكري ذاع
صيت ابن هود بين المسلمين وكان له ذكر جميل³.

ب/ المواجهات العسكرية ما بين (479-520 هـ/1086-1126م)

عرفت هذه الفترة أكبر سقطة إسلامية في تاريخ الأندلس، حيث تم الاستيلاء
على مدينة طليطلة عاصمة القوط قبل الفتح الإسلامي، وقد استعمل الملك ألفونسو
السادس⁴، والذي انتهج: "خطة تعتمد على حرب الاستنزاف وتشتيت الصفوف"⁵
بالإضافة إلى فرض ضريبة مالية تعرف باسم بارياس.
وقد اشتدت الأزمات على أهل طليطلة وتزامنت مع شتاء بارد ومع حصار
ألفونسو السادس لهم، مع الكره الشديد للقادر من طرف رعيته، وقد اجتمعت هذه
العوامل على بني ذي النون وجعلته يخرج من مدينته، بعدما قام ألفونسو بإرجاعه
إليها مقابل مجموعة من الحصون تسلم له، حيث تسلم: "حصن سرية... حصن
قورية رهناً"⁶؛ وتمادى ألفونسو في ذلك بأن طلب منه حصن قنالش مقابل دخوله
ثانية إلى طليطلة بعد خروج ابن الأفضس.

¹ - البكري: المصدر نفسه، 95. ابن عذارى: المصدر نفسه، 227/3. الحميري: المصدر نفسه، 91. عنان:
المرجع نفسه، 279.

² - البكري: المصدر نفسه، 95. الحميري: المصدر نفسه، 91.

³ - ابن الخطيب: المصدر نفسه، 171.

⁴ - ألفونسو السادس: ابن فرناندو الأول أعطاه أبوه في عام 1065م مملكة ليون مع الجزية التي تدفعها مملكة
طليطلة... وفي عام 1072م وجه سانشو الثاني حملة ثانية ضد أخيه ألفونسو السادس وضم مملكة ليون ثم نفاه إلى
طليطلة... وبموت أخيه استرد ألفونسو السادس مملكة ليون كما ورث مملكة كاستيل، الموسوعة العسكرية
707/3-708.

⁵ - بودشيش إبراهيم القادري: إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، دار
الطليعة ببيروت، ط1، مارس 2002م، 120.

⁶ - ابن الكردبوس: المصدر نفسه، 83.

وكان هدف ألفونسو السادس من امتلاك الحصون، هو حشد هذه الأخيرة بالمؤن والذخيرة لوقت الحاجة، وتكون نقاط مراقبة لتحركات المسلمين وعين استطلاعية، إذا ما علمنا أنها مناطق متاخمة للملكيتين.

ونتيجة السياسة الظالمة التي انتهجها القادر مع رعيته وانعدام الاستقرار، فلم "تطل مدته شطر السنة حتى ملك الطاغية طليطلة"¹؛ وكان خروجه منها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة²، وانتقاله إلى بلنسية³، واستقراره بها إلى حين دخول المرابطين لها.

قد يتساءل البعض عن الروح العسكرية للقائد العسكري ومجموع عساكره أمام هذه الأزمات، وقد غلب عليهم التخاذل والجبن، كما جعل قواد الجيش وعساكره في خدمة الملك دون الرعية.

وظهرت النوايا الحقيقية لألفونسو السادس حين اقترح عليه بعض حاشيته ومقربيه أن: "يلبس التاج... فقال: لا حتى أطأ ذروة الملك، وأخذ قرطبتهم واسطة السلك"⁴.

وقد تمادى ألفونسو هذا في حملاته على المدن الإسلامية، ولم يوقف عمله العسكري اتجاه المسلمين وأقاليمهم إلا بعد موقعة الزلاقة (479هـ/1086م)، حيث انبعثت للوجود قيادة عسكرية تحمل بين جنباتها الروح العسكرية تجلت في دولة المرابطين؛ فقد كان: "نظام الدولة كله على أسس عسكرية"⁵، وحاولت خلال سبعة وسبعة وثلاثين سنة استرجاع مدينة طليطلة⁶ من يد النصاري⁷.

¹ - ابن الخطيب: المصدر نفسه، 182.

² - ابن بسم: المصدر نفسه، 4/104. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، لبنان، [د.ت.ط]، 161/4. المقري: المصدر نفسه، 1/340؛ 5/261.

³ - بلنسية: في شرق الأندلس... وهي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس في مستو من الأرض عامرة القطر كثيرة التجارات وبها أسواق وحط وإقلاع... وسورها مبني بالحجر والطوب، ولها أربعة أبواب، الحميري المصدر نفسه 98.

⁴ - ابن بسم: المصدر نفسه، 4/104.

⁵ - أشياخ يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تح عبد الله عنان، مكتبة الخانجي القاهرة، ط2، 1417هـ/1996م، 2/234. بودشيش القادري: دولة المرابطين والأساس العسكري في تكوينها وبناء نظامها الإداري، مجلة الحرس الوطني، الرياض، ع 156، ربيع الأول 1416هـ/ أوت 1995م، 37.

⁶ - ينظر الملحق رقم 03.

⁷ - للاستزادة حول تفاصيل هذه المحاولات ينظر الملحق الزمني الخاص بحصار طليطلة.

وكانت المحاولات خلال العهود الثلاثة لأكبر أمراء المرابطين، بدءاً بيوسف بن تاشفين، وعلي بن يوسف، وتاشفين بن علي؛ وعمل تحت إمرتهم أشجع القادة العسكريين في ذلك الزمن، وهم سير بن أبي بكر، محمد بن الحاج، ومحمد بن فاطمة، وابن عائشة.

وظهرت التنظيمات العسكرية بحشد الجنود في الثغور، ولم يبخل يوسف بن تاشفين بالعدد والعدة في محاولة استرجاع مدينة طليطلة، فقد كانوا يعتمدون بالدرجة الأولى على قوة الفرسان، وقد جاء وصفهم والإشادة بهم عند أشباخ أنهم قوم: "وافرو البراعة، شديدي المراس في الحرب، لا يفرون أمام عدو مهما تفوق عليهم في العدد"¹.

وتجلت قدرتهم وبراعتهم وإصرارهم في المحاولات المتكررة لاسترجاع مدينة طليطلة، بفرض الحصار ولم تتمكن القوة العسكرية النصرانية من صددهم أو إرجاعهم، بل الأكثر من ذلك أن فرقا عسكرية من الجيش المرابطي المحاصر للمدينة كانت تخرج لفتح بعض الحصون المجاورة، وتتغلب على القوة الحامية في الحصن، وتجلب معها الخيرات.

كل هذا يحسب للجيش المرابطي، غير أنه يحسب عليه أنه لم تكن له دربة، ولم يكن على دراية بأسلحة القتال الهجومية الثقيلة في بداية عهدهم في الأندلس، وجهله بالطبيعة الجغرافية لتلك المنطقة، والتي تركز عسكرياً من أجل إحراز النصر والتغلب على العدو، بوضع الكمائن؛ إلا أنهم استفادوا من كل هذا في تحقيق النصر في عهدة الخليفة الثاني للدولة المرابطية، علي بن يوسف، وكان ذلك في موقعة إقليش الواقعة على سفح النل، وكان ذلك سنة 502هـ/1109م.

حيث تمكنوا من اقتحام الحصن، "والذي كان فيه جمع عظيم من الروم"²، مما اضطر النصارى إلى الهروب إلى القصبية، وهي ما يلي الحصن، فأحاط المسلمون

¹ - أشباخ: المرجع نفسه، 235/2.

² - ابن أبي زرع: المصدر نفسه، 160.

بالقصبية من كل جهة، مما دفع ألفونسو إلى إرسال جيش اختلفت المصادر في تحديد عدده.

فقد ذكر ابن أبي زرع أنه كان قوامه ثلاثة آلاف فارس¹، وذكر ابن القطان، أن تعداد الجيش كان عشرة آلاف فارس². ولما تراءى الجمعان، وكان عدد جيش النصارى كبيراً، خشي القائد العام للجيش الإسلامي تميم بن يوسف، وأراد أن: "يقلع عن الحصن ولا يلقاهم"³؛ حتى تدخل مساعداه ابن عائشة وابن فاطمة، وأقنعه بالثبات، وقاما بمناورة عسكرية، تمثلت في ضرب معسكر النصارى وهو مؤخرة الجيش، حيث "انتهياها وقتلا من وجدا فيها"⁴، والهدف من ذلك هو القضاء على قواعد الإمداد والتمويل في جيش النصارى؛ وهو عنصر من عناصر إدخال الرعب، والخوف في نفوس العدو.

فقاتل المسلمون بعد ذلك بنظام محكم، "وكانت بينهم حروب عظيمة لم يسمع مثلها"⁵، وظهرت قوة الثبات والعزيمة ما بين الطرفين.

فقد ذكر بعض المؤرخين "أن سبعة من أكبر فرسان النصارى هلكوا فيها، ولهذا يسمونها موقعة الأكناد السبعة"⁶؛ وتحقق النصر للمسلمين على إثر مقتل ابن ألفونسو السادس في المعركة والذي كان يمثل القائد الأعلى للجيش النصراني بمساعدة الكونتات السبع.

كل هذا قد وقع، وقصبية إقليس لم تسقط في يد المسلمين، نظراً لحصانتها ومناعتها، فلجأ ابن فاطمة وابن عائشة إلى حيلة لاستدراج الحامية ومن في القصبية كلها، حيث "أفلعت العساكر عنها وكننت على بعد"⁷، فظن أصحاب

¹ - ابن أبي زرع: المصدر نفسه، 160.

² - ابن القطان المراكشي، أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان: تح الدكتور محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، 64.

³ - ابن أبي زرع: المصدر نفسه، 160.

⁴ - ابن القطان: المصدر نفسه، 65.

⁵ - ابن أبي زرع: المصدر نفسه، 160. ابن القطان: المصدر نفسه، 65.

⁶ - مؤنس حسين: الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، المجلة التاريخية المصرية، مج 11، ديسمبر 1949م، 109/2. عنان عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988/1408، 65.

⁷ - ابن القطان: المصدر نفسه، 66.

المدينة أن الجيش المرابطي قد انسحب وفكر الحصار، ففتحت الأبواب وبدأ أهلها بالفرار، غير أن المفاجأة للنصارى كانت كبيرة حينما "قبض عليهم فقتل من قتل وأسر الباقون"¹.

وقد قُدر عدد قتلى النصارى بثلاثة وعشرين ألف ونيف²، وهو عدد كبير إذا ما قيس بالجند الذي بعثه ألفونسو السادس مع الجند الموجود داخل المدينة بالإضافة إلى عدد السكان.

والمتمأمل لهذه الواقعة، والتي تعد النصر الثاني للمرابطين على عدوهم النصراني بالأندلس بعد معركة الزلاقة، تجسد المبادئ الأساسية في المواجهة العسكرية، التي لا يكون إلا النصر بعدها، فقد كان الجيش المرابطي يقاتل بالتعاون مع أفراد الجيش الأندلسي، إذ أن "التعاون قاعدة ثابتة لعمليات القتال المختلفة"³؛ وهذا ما نفهمه حينما قام الجيش النصراني بسؤالهم عن عسكر قرطبة ولما تبين لهم ذلك "حملوا عليهم حملة منكرة"⁴.

وقد اعتمد نظام تعبئة الجيش الإسلامي على النظام الخماسي، أو كما يطلق عليه تسمية الكراديس، ومفردها كردوس، حيث نجد "المقدمة تتألف من عسكر منفرد بصفوفه... ثم عسكرا آخر ناحية اليمين... يسمونه الميمنة، ثم عسكرا آخر من ناحية الشمال يسمونه الميسرة، ثم عسكرا آخر من وراء العسكر يسمونه الساقة، ويقف الملك وأصحابه في الوسط بين هذه الأربعة ويسمون موقفه القلب"⁵.

ويوضح أشباح ترتيب المعركة عند المرابطين في النظام الخماسي بقوله: "ويتقدم الجيش الجند المشاة، ووحدات الفرسان الخفيفة، وحملة القسي، وحملة النبال

¹ - ابن القطان: المصدر نفسه، 66. عنان: المرجع نفسه، 66.

² - ابن أبي زرع: المصدر نفسه، 160.

³ - الحميميدي، العميد محمد بن علي: مبادئ الحرب، مجلة الحرس الوطني، الرياض، ع 178، محرم 1418/

ماي 1997، 32.

⁴ - ابن القطان: المصدر نفسه، 64.

⁵ - ابن خلدون: المقدمة، 256.

ويرتبون في الجناحين، ويتكون القلب من وحدات الفرسان المرابطة الثقيلة، وهي التي كان لها على الأغلب القول الحسم في المعارك¹.

ثم تتوضح صورة الجيش المرابطي، والتركيبية التفصيلية له، في الوصف الدقيق الذي جاء عند الباحث محمد الأمين بلغيث، حيث يقول: "كانت فرق الحشم في الصف الأمامي، وفي الساقة جنود الأندلس، وفي الجناحين أهل الثغور، وفي القلب المرابطون، يتوسطهم القائد العام للجيش"²

فقد قاتل المرابطون وأهل الأندلس بهذا النظام التعبوي، وما كانت حملة المناورة لابن عائشة وابن فاطمة إلا صورة حية لهذا النظام دون الإخلال بالخطوة العامة للمعركة.

ولطول المدة الزمنية التي قضاها القادة العسكريون للجيش المرابطي بالأندلس مما أكسبهم خبرة إضافية إلى خبراتهم السابقة، فبعدما كانوا متمرسين بطبيعة المناطق الصحراوية، وما تتطلبه هذه الأخيرة من خبرات وإعداد وعدة، فكذلك أصبحوا خبراء بطبيعة الأرض والطقس، وظروف البيئة، وفي هذا يقول اللواء الركن منصور توفيق علي: "يتطلب القتال في المناطق الوعرة، مثل الجبال والغابات دراسة خاصة لطبيعة الأرض والطقس، وظروف البيئة في هذه المنطقة دراسة وافية، وتعايش مستديم لفترة زمنية معينة، قبل التورط فيها"³؛ وتجلى هذا بالخصوص في الكمين، الذي نصبه ابن عائشة وابن فاطمة، والذي أدى إلى إخراج الحامية والسكان النصارى من قسبة إقليش.

ومن خلال معركة طلييرة (503هـ / 1110م)، والتي جاء ذكرها على أساس أنها غزوة في بعض المصادر، شارك فيها علي بن يوسف كقائد عام للجيش، وجمع تحت إمرته العدد الكثير من الجند والعتاد، حتى قيل: "لم يعهد مثل الغزوة قوة

¹ - أشياخ: المرجع نفسه، 2/ 235.

² - بلغيث محمد الأمين: المرجع نفسه، 40.

³ - اللواء الركن منصور توفيق علي: القتال في الجبال والغابات، مجلة الحرس الوطني، الرياض، ع156، ربيع الأول 1416/ أغسطس 1995، 21.

وظهوراً، وعدة ووفوراً¹؛ فقد استعملت فيها آلات الحصار الثقيلة، حيث كان يستحيل الوصول إلى سور المدينة، بسبب الواد المتصل بسورها، مما ألجأ المسلمين إلى ثلب الواد وتسريب مياهه وخرق السور، بعدما استمات الكفار في الدفاع " واقتحم المسلمون عليهم ودخلوها عنوة"².

وغالب الظن أن الجيش الإسلامي الذي كان يؤدي دوره في مقابلة النصارى تحت قيادة المرابطين، برغم إخلاصهم واستبسالهم في الجهاد، " لم يكونوا على براعة كافية بفنون الحصار، ويرجع السبب في ذلك إلى أن دعامة قوتهم كانت تركز إلى الفرسان، وهم أقل براعة في فنون الحصار"³؛ وعلى هذا لم يتمكنوا من فتح مدينة طليطلة والمعروفة بمناعتها وحصانتها رغم المحاولات المتكررة. كما كانت للمرابطين مواجهات عسكرية أخرى مع النصارى القشتاليين، ففي سنة 503هـ/ 1110م، تم "فتح مجريط وواد الحجرة"⁴، كما قاموا باسترجاع العديد من الحصون في الثغر الأدنى.

وللحديث عن المواجهات العسكرية بين المسلمين والنصارى في الجهة الشمالية وجب التذكير بإحياء فريضة الجهاد، والتي كان رائدها أحمد بن محمد بن سليمان بن هود(478-503هـ/ 1085-1110م)، والتي تميزت القيادة العسكرية فيها بخاصية الاعتماد على مجهودها الخاص دون اللجوء إلى الاستعانة بقوى المرابطين.

وقد أيد المرابطون ذلك لعلمهم بأن بني هود ومن كان تحت إمرتهم من الجند، هم أعلم الناس بمناطقهم، وما جاورهم من المناطق النصرانية، ولأنهم كانوا يمثلون الحاجز البشري المنيع لتقدم النصارى. فقد أوصى يوسف بن تاشفين ابنه علياً "أن يهادن بني هود بالأندلس، وأن يتركهم حائلين بينه وبين الروم"⁵.

¹ - ابن عذارى: البيان المغرب، تح إحسان عباس، دار الثقافة لبنان، ط3، 1983م، 92/4. مؤلف مجهول: الحل الموشية، 85-86. ابن القطان: المصدر نفسه، 69.

² - ابن القطان: المصدر نفسه، 70.

³ - أشباح: المرجع نفسه، 2/ 237.

⁴ - ابن أبي الزرع: المصدر نفسه، 161.

⁵ - مؤلف مجهول: الحل الموشية، 83.

ولا أدل على ذلك من موقعة وشقة (489هـ / 1096م)، والتي دام حصارها مدة ثمان سنوات وتم فيها انهزام المسلمين، رغم استبسال الجيش لمدة يوم كامل من القتال دون أن يولوا الدبر، ولم تحصل الهزيمة وينكسر الجيش إلا بعد أن أشار قادة الجيش أو مقدمو العسكر على الملك المستعين: "بأن ينجو بنفسه"¹؛ وبعدها: "التمس أهل وشقة الأمان لثلاثة أيام من يوم الهزيمة"².

وقد كانت هناك مواجهة عسكرية سنة 501هـ / 1108م، تحت إمرة المستعين ابن هود، محاولاً استرجاع بعض المدن، "فدخل على تطيلة إلى أرنيط³، ونازلها ودخل أرياضها... فرحل عنها بعد مصالحتهم على مال يؤدونه"⁴. كما قام بشن غارات ثم رجع قافلاً إلى سرقسطة، إلا أنه بلي بلحاق النصارى له، واشتد القتال بين الفريقين، وكانت الغلبة للنصاري، واستشهد في تلك السنة.

وفي سنة 503هـ / 1110م، وفي حكم عبد الملك بن أحمد الملقب بعماد الدولة، الذي أسرف في المداراة والانكماش أمام الفونسو المحارب⁵، فطلب أهل سرقسطة سرقسطة من القائد محمد بن الحاج الدخول إلى البلد واحتلالها و بذلك فتحت له المدينة⁶؛ إلا أن ألفونسو المحارب لم يجد بدا من اعتداءاته المتكررة على نواحي سرقسطة فقرر القائد محمد بن الحاج في حملة عسكرية صوب برشلونة⁷ وصحب وصحب معه القائد محمد بن عائشة وكان ذلك سنة 508 هـ / 1114م.

تمكن الجيش من فتح حصون عديدة والوصول إلى أحواز عاصمة قطلونيا حيث قاموا بالتخريب وإرهاب العدو إلا أنهم عجزوا عن الاستيلاء على العاصمة لشدة حصانتها؛ ثم قرروا الرجوع إلى سرقسطة فقام هذا الأخير بإرسال "المغنم

¹ - الطرطوشي: المصدر نفسه، 503.

² - ابن الخطيب: المصدر نفسه، 172.

³ - أرنيط: مدينة بالأندلس أولية بينها وبين تطيلة ثلاثون ميلاً، وهي قلعة عظيمة منيعة، من أجل القلاع... مطلة على أرض العدو. الحميري، المصدر نفسه، 27.

⁴ - ابن عذاري: المصدر نفسه، 53/4. ابن الخطيب: المصدر نفسه، 174.

- ألفونسو المحارب: الابن الأصغر لسانشو رميز، تولى الحكم بعد أخيه على عرش أراغونة، وهو الذي قُدِّر له فيما بعد أن يتزوج من أورাকা بنت ألفونسو السادس ملك قشتالة أن يحكم سائر الممالك الإسبانية وأن يغدو من

⁵ أعظم ملوك إسبانيا. عنان: عصر الطوائف، 406.

⁶ - ابن الخطيب: المصدر نفسه، 175.

⁷ - ابن زرع: المصدر نفسه، 160.

على الطريق الكبير"¹، وقرر هو العودة مع محمد بن عائشة بسلك طريق وعر ومختصر، لكن المفاجأة كانت أشد وأعظم حيث كمن لهم العدو بمكان ضيق فقَاتلهم قتالا شديداً، قتال من أيقن بالموت واغتم الشهادة... فاستشهد رحمه الله واستشهد معه جماعة من المتطوعة"²، وتمكن القائد محمد بن عائشة من النجاة بالحيلة.

وما كان يحدث هذا لو كانت لهم دراية بالطبيعة الجغرافية للمنطقة الشمالية التي تحيط بها الجبال الوعرة، فيسهل وضع الكمين الذي يعتمد على "الاستتار الكامل لتحقيق المفاجأة... والتجمع في مكان واحد"³، وقد تم من خلاله غلق منافذ النجاة إلى بلاد المسلمين فكانت الخسائر في الجيش المرابطي عظيمة. وفي نفس السنة قامت حملة بقيادة أبي بكر بن إبراهيم بن تافلوت إلى منطقة برشلونة واستعمل أسلوب الاستنزاف الاقتصادي، بعده كانت المواجهة العسكرية ما بين الطرفين عنيفة وقد كان من آثارها أن "مات فيها خلق كثير من الروم واستشهد فيها من المسلمين نحو السبعمئة رجل"⁴، ويذكر حسين مؤنس أن المرابطين انكسروا كسرة شديدة⁵.

وفي سنة 511هـ/1117م قام الأمير علي بن تاشفين بإسناد قيادة الجيش في منطقة سرقسطة وضواحيها إلى محمد بن عبد الله مزدلي، فتقدم هذا الأخير مع فرقة من المتطوعة إلى ضواحي سرقسطة ل فك الحصار عن المدينة المفروض من قبل ابن رذمير⁶، الذي أذاق أهلها البلاء حيث تمكن القائد محمد بن عبد الله مزدلي من إنزال الخسائر عدداً وعدة وأقام عاما كاملاً⁷، وعند وفاته بقيت مدينة سرقسطة دون أمير، مما جعل ألفونسو المحارب يفكر في الاستيلاء عليها ثانية.

¹- ابن أبي زرع: المصدر نفسه 161.

²- ابن أبي زرع: المصدر نفسه 161.

³- منصور توفيق علي: المرجع نفسه 30.

⁴- ابن أبي زرع: المصدر نفسه 161.

⁵- مؤنس: المرجع نفسه 114.

- ابن رذمير أو ابن رذميل: يقصد به الابن الأكبر لسانشو راميز، تولى الحكم بعد مقتل أبيه، وتمكن من الاستيلاء

⁶على وشقة، توفي سنة 1105م، وخلفه أخوه ألفونسو. عنان: عصر الطوائف، 406.

⁷- ابن أبي زرع: المصدر نفسه 162.

وفي سنة 512هـ/1118م، أعد ألفونسو المحارب حملة عسكرية استعان بطوائف الإفرنج، فأتوا في أم كالنمل والجراد فنزلوا معه بها وشرعوا في القتال، وصنعوا أبراجا من خشب تجر على بكرات وقربوها منها، ونصبوا فيها الرعادات ونصبوا عليها عشرين منجنيقا¹.

استمر الحصار عليها ما يقارب السبع سنوات حتى فنيت الأقوات" وفنى أكثر الناس جوعا"²، وطال انتظار أهل سرقسطة للنجدة من قبل المرابطين فقرروا عقد معاهدة وتسليم المدينة، وبعد خروجهم " وصل من العدو جيش من عشرة آلاف فارس بعثه أمير المسلمين علي لاستنقاذها فوجدوها قد فرغ منها وملكها ونفذ حكم الله فيها"³.

وبهذا سقطت عاصمة الثغر الأعلى، قاعدة الإسلام في شرق الأندلس ولم يتمكن المرابطون من استرجاعها أو حتى الاقتراب منها لظهور دولة منافسة لهم في العدو؛ وقد تحقق " لأراجون بافتتاح سرقسطة ما حققه ألفونسو السادس لقشتالة بافتتاح طليطلة"⁴.

وكانت هنالك محاولة أخرى من قبل المرابطين في شرق الأندلس سنة 513هـ/1119م، حيث بعث تميم قوة مرابطية صغيرة مع أكبر عدد من المتطوعين إلى قلعة أيوب⁵، هلك فيها أغلبهم وتم الاستيلاء على هذه الأخيرة.

3- ابن أبي زرع:ص 163، السلاوي أحمد بن خالد الناصري من كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، حقوق الطبع محفوظة 126/1، مؤنس : المرجع نفسه 115.

2- ابن أبي زرع: المصدر نفسه 163، السلاوي: المصدر نفسه 126 /1 ، مؤنس: المرجع نفسه 115.

3- ابن أبي زرع: المصدر نفسه 163، السلاوي: المصدر نفسه 126/1، مؤنس: المرجع نفسه 115.

4- أشباخ: المرجع نفسه 174/1.

7- قلعة أيوب: بالأندلس بقرب مدينة سالم، وهي مدينة رائعة البقعة حصينة شديدة المناعة، الحميري: المصدر نفسه 449.

الخلاصة

يُعدّ الجهد المبذول في هذا الموضوع؛ جهد المُقلّ المبتدأ في الدراسات العليا، وقد خرجت بمجموعة من النهايات أو الملاحظات التي يمكن أن نسميها نتائج، منها التي توصلت إليها بمحض هذه الدراسة، ومنها التي لا تزال بحاجة إلى بحث وتنقيب، أجمالها فيما يلي:

1. إن الدراسة قد أمكنتني من القيام بجرد واسع ومتنوع لمادة علمية متنوعة وغنية، كانت متناثرة الأطراف في كتب مختلفة وأزمان متفاوتة.
2. إن الجانب العسكري، وهو يمثل جانبا من جوانب الحضارة العربية الإسلامية، لا يزال بحاجة ماسة إلى من ينقب عنه، ويميط اللثام عن كثير من حقائقه، وإلى جهود أكبر من هذا البحث المتواضع.
3. إن الثغور في البلاد المفتوحة، كانت نشأتها نشأة إسلامية بحتة، وشهدت نقلة نوعية في التطور للنظام العمري-الصوائف والشواتي-.
4. إن الثغور الأندلسية، ما هي إلا ثغران أساسيان، ثغر أعلى وعاصمته مدينة سرقسطة، وثغر أدنى وعاصمته مدينة طليطلة، وهذا ما ذهب إليه وأكدته كل من الأساتذة أصحاب الاختصاص، في التاريخ الأندلسي وهم ليفي بروفنسال، ومختار العبادي، ومحمد حناوي، على اعتبار أهميتهما ودورهما في التاريخ الأندلسي.
5. إن الموقع الجغرافي قد لعب دورا أساسيا في الحماية والمحافظة على مدن الثغور الأندلسية، سواء في اختيار الموقع، أو في التخطيط، أو الإنشاء، وسواء كان ذلك في الحصون، أو القصبات، أو الأبراج، أو حتى الأسوار.

6. أثر الموقع الجغرافي الكبير في تصريف نتائج الكثير من الأحداث التاريخية، وهذا ما تؤكدته تلك الأحداث والوقائع، التي شهدتها مدن الثغرين زمن مرور المرابطين إلى الأندلس. فبالرغم مما عُرِف عن قيادة المرابطين من شجاعة وبأس ورباطة جأش وصبر ومصابرة في لقاء الأعداء، إلا أنهم أخفقوا في العديد من المواقع، وذلك لجهلهم بالطبيعة الجغرافية لتلك المناطق.
7. العبقرية الفذة، والتي امتازت بها العقلية العربية الإسلامية، في اختيار القيادة في بادئ أمرها، والإنجازات التي تحققت على يدها.
8. لم تكن القيادة الأندلسية بعامّة، والقيادة في الثغرين بخاصة، بحاجة إلى إمدادات من خارج الأندلس، بقدر ما كانت حاجتها الماسة إلى وعيها بالمهمة المنوطة بها، والمسؤولية الدينية والتاريخية الواقعة على عاتقها.
9. تكالبت القيادة العسكرية في الأندلس على الملك وتوسيعه، والمحافظة عليه بأي صورة كانت وبأي شكل كان، ولو اقتضى ذلك القتال والتناحر بين الإخوة في الدين، أو حتى بين الأشقاء في الرحم، أو حتى لو استدعى الأمر الاستعانة بالعدو.
10. تناقص جذوة الإيمان بالمبدأ الذي عاش من أجله الفاتحون الأولون حتى خبت جذوته، وتكالبت القيادة على عَرْض أدنى، فأفقدوا أهليتها والملك الذي كان تحت إمرتها.
11. النزعة الانفصالية والعقلية الثورية التي امتاز بها سكان مدن الثغور، وخاصة سكان مدن الثغر الأدنى، ولعل ذلك راجع إلى التركيبة البشرية للمجتمع، والتي عجلت سقوط عاصمة الثغر الأدنى.
12. عدم مسايرة القيادة في الثغرين لواقع محيطها، وبخاصة ممالك النصرى، في الجانب العسكري، فقد شهدت القيادة عند العدو، قفزة نوعية في الإيمان بمبدأ الاسترداد، وما يتطلب ذلك من شحذ الهمم،

وتوفير العدد والعدة، وتطوير السلاح، سواء الخفيف منه أو الثقيل؛ أما القيادة في الثغرين فقد شهدت انتكاسة وردة في الإيمان بمبدأ المحافظة على الأقل على ما خلفه الأسلاف.

13. عدم التزام القيادة العسكرية المتأخرة، بالمعايير المطلوبة في إنشاء القلاع والحصون والأسوار، سواء من حيث مادة البناء أو الموقع الجغرافي، وهذا ما سهل على الأعداء اختراق الكثير من الحصون والأسوار لأنها مبنية أو مرممة بالطوب واللين الطيني، بالإضافة إلى استغلال الحصون والقلاع وتوجيهها في غير وجهتها العسكرية المخصصة لها وهي الرباط.

14. العامل الاقتصادي، والذي وجّه ممالك النصارى في التفكير في عملية الاسترداد، والتي بدأها بفرض الإتاوات والضرائب على قصار الفكر والنظر من حكام المسلمين في الثغرين، وتحصيل الغلات والثمار في موسم الجني، مقابل بقائهم في سدة الحكم، والمحافظة على ما تحت أيديهم من إقطاعات، ثم من خلال عمليات الحصار والمعارك التي كانت بينهم وبين المسلمين في العديد من المناطق من الأندلس حيث اكتشفوا غنى الأندلس وما كانت تزخر به من ثروات متنوعة.

ملاحق البحث:

- ◀ الجداول.
- ◀ صور الأسلحة الخفيفة والثقيلة.
- ◀ صور الحصون والقلاع.

جدول زمني لقادة وحكام الثغر الأدنى: الملحق رقم 01.

سنة الحكم والوفاة	الحاكم (القائد العام)	أعماله	المصدر
409هـ-419هـ 1018م-1028م	يعيش بن محمد بن يعيش الأسدي	تولي الأحكام.... صار إليه تدبير الرئاسة ساوى ملوك الطوائف	- ابن بشكوال: م.ن، 529 - ابن عذارى: م.ن، 196/3 - ابن خلدون: تاريخ العبر، 161/4
419-427هـ 1028-1036م	عبد الرحمن بن متيوه عبد الملك بن متيوه		- ابن عذارى: م.ن، 196/3 - ابن خلدون: تاريخ العبر، 161/4
427-429هـ 1036-1037م	إسماعيل بن عبد الرحمن ذي النون *الظافر*	- أول الثوار لمفارقة الجماعة. - ساس أهل مملكته سياسة استقاموا عليها	- ابن بسام: م.ن، 160/1. - ابن الخطيب: م.ن، 177. - ابن خلدون: م.ن، 161/4.
429-467هـ 1037-1075م	يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن إسماعيل * المأمون *	- دخول قرطبة. - غزى بلسنية . - منازعات بينه وبين جاره سليمان بن هود. - رجع إلى مطالبة جاره بن الأقطس.	- ابن الخطيب: م.ن، 178. - ابن خلدون: م.ن، 161/4. - الزركلي: م.ن، 138/8.
467-478هـ	يحيى بن إسماعيل	- تسليم مدينة طليطلة	- ابن سعيد: م.ن، 13/2.

1085-1075م	بن المأمون *القادر*	سنة 478.	- ابن الخطيب: م.ن، 182 - ابن خلدون: م.ن، 161/4
------------	------------------------	----------	---

الجدول الزمني لحكام وقادة الثغر الأعلى: الملحق رقم 02

سنة الحكم والوفاة	الحاكم (القائد العام)	الأعمال العسكرية	المصدر
414-408هـ 1023-1017م	المنذر بن مطرف بن يحيى بن عبد الرحمن بن هاشم التجيبي	ساس عظماء الإفرنج	- ابن عذارى: م.ن، 176 - ابن خلدون: م.ن، 163/4 - الزركلي: مر.ن، 295/7
420-414هـ. 1029-1023م.	يحيى بن المنذر بن يحيى *المظفر*	استوسقت له الأمور.	- ابن عذارى: م.ن، 163/4 - ابن خلدون: م.ن، 177/4
431-420هـ 1039-1029م	المنذر بن يحيى *معز الدولة*	مشاركة في الفتنة البربرية.	- ابن الأبار: م.ن، 246/2 - ابن عذارى: م.ن، 126، 96/3 - ابن الخطيب: م.ن، 196.
438-431هـ 1046-1039م	سليمان بن محمد بن هود *المستعين*	ضخم أمره.. اشتهر ذكره، وبعد صيته.	ابن الخطيب: م.ن، 171.
474-438هـ 1081-1046م	أحمد بن سليمان *المقتدر*	كانت بيه وبين الروم حروب عظيمة. كان أقواهم	- ابن سعيد: م.ن، 436/2 - ابن الأبار: م.ن، 247/2 - ابن الخطيب: م.ن،

171	سلطانا.		
-ابن سعيد:م.ن، 437/2.	حاميا لملكه، مجاهدا لعدوه.	يوسف بن أحمد *المؤتمن*	474-478هـ. 1081-1085م
-ابن الأبار:م.ن،248/2. -ابن عذارى:م.ن، 53/4 - ابن الخطيب:م.ن، 172/2، 174. -ابن خلدون:م.ن، 163/4	حروب مع الروم	أحمد بن محمد بن سليمان بن هود *المستعين*	478-503هـ. 1085-1110م.
- ابن سعيد:م.ن، 438/2 -ابن الأبار:م.ن، 248. -ابن عذارى:م.ن، 53/4 -ابن الخطيب:م.ن، 175.	موادعة ومناصرة النصارى	عبد الملك بن أحمد *عماد الدولة*	503-509هـ. 1110-1117م.

جدول زمني لمحاولة استرجاع مدينة طليطلة . الملحق رقم

.03

السنة	القائد العام	قائد الجيش	وصف الحدث	المصدر
483هـ - 1090م.	يوسف بن تاشفين .	يوسف بن تاشفين .	حاصرها... وخرب أحوازها وقتل وسبها .	ابن أبي زرع:م.ن، 153.
493هـ - 1099م.		يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين . سير بن أبي بكر . محمد بن الحاج .	حاصروها وشنوا الغارات على نواحيها .	ابن الكردبوس:م.ن، 109
500هـ - 1106م.		محمد بن أبي زلفى . عبد الله بن الحاج .	فغزا طليطلة وأوقع بالنصارى فقتلهم قتلا ذريعا بباب القنطرة .	ابن أبي زرع:م.ن، 158.
503هـ - 1109م.	علي بن يوسف .	علي بن يوسف .	قصد طليطلة ونزل على بابها . حلز المنية المشهوره، وانتشرت جيوشه دوخ بلاد المشركين . فتح من أحواز طليطلة سبعا وعشرين حصنا .	ابن الكردبوس:م.ن، 116، 117 ابن عذارى:م.ن، 52/4 ابن أبي زرع:م.ن، 161 مؤلف مجهول:الحلل الموشية،86،85.

<p>ابن الكردبوس: م.ن، 121 ابن أبي زرع: م.ن، 162 ابن عذارى: م.ن، 57</p>	<p>غزا طليطلة وأثعاءها.</p>	<p>مزدلي. سير بن أبي بكر.</p>		<p>507هـ 1113م.</p>
<p>ابن أبي زرع: م.ن، 164</p>	<p>خرج بهم غازيا إلى طليطلة فدخل حصنا من حصونها، وهتك أحوازها.</p>	<p>تاشفين بن علي</p>	<p>تاشفين بن علي</p>	<p>520هـ 1126م.</p>

البلحقا رقم 04



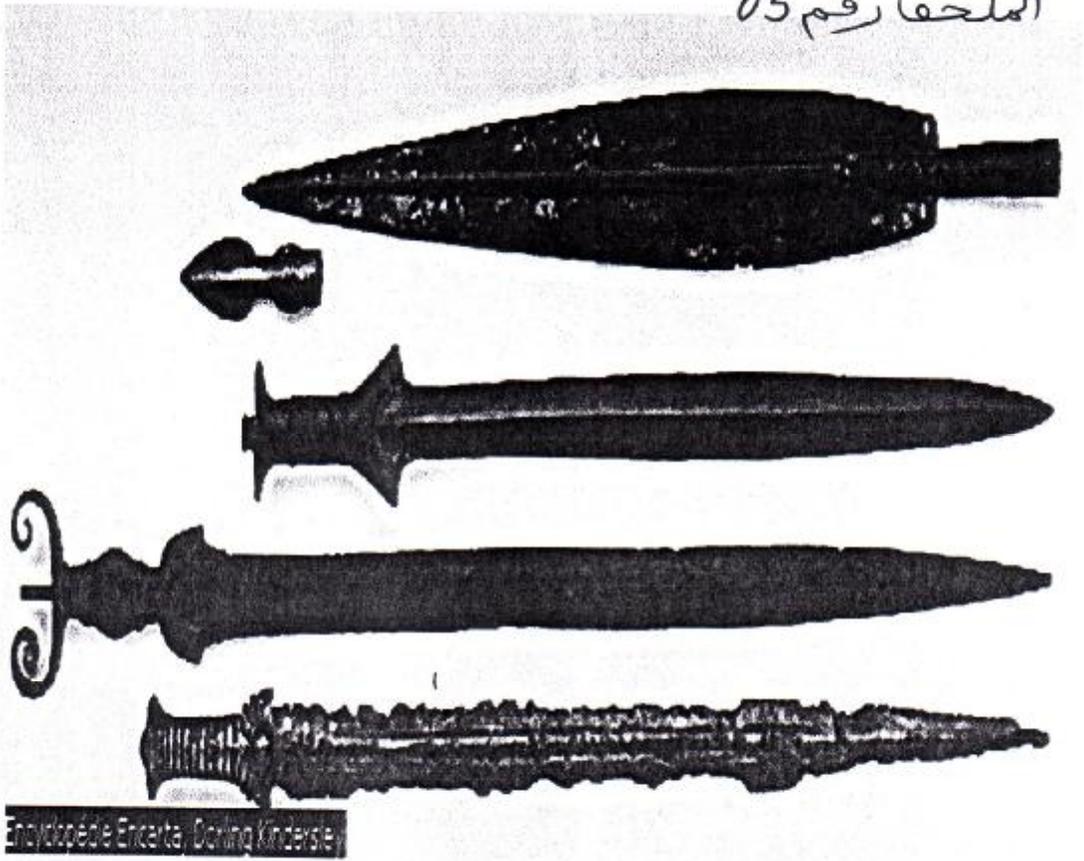
Dorling Kindersley

أسلحة مقاتلين في العصر الوسيط.

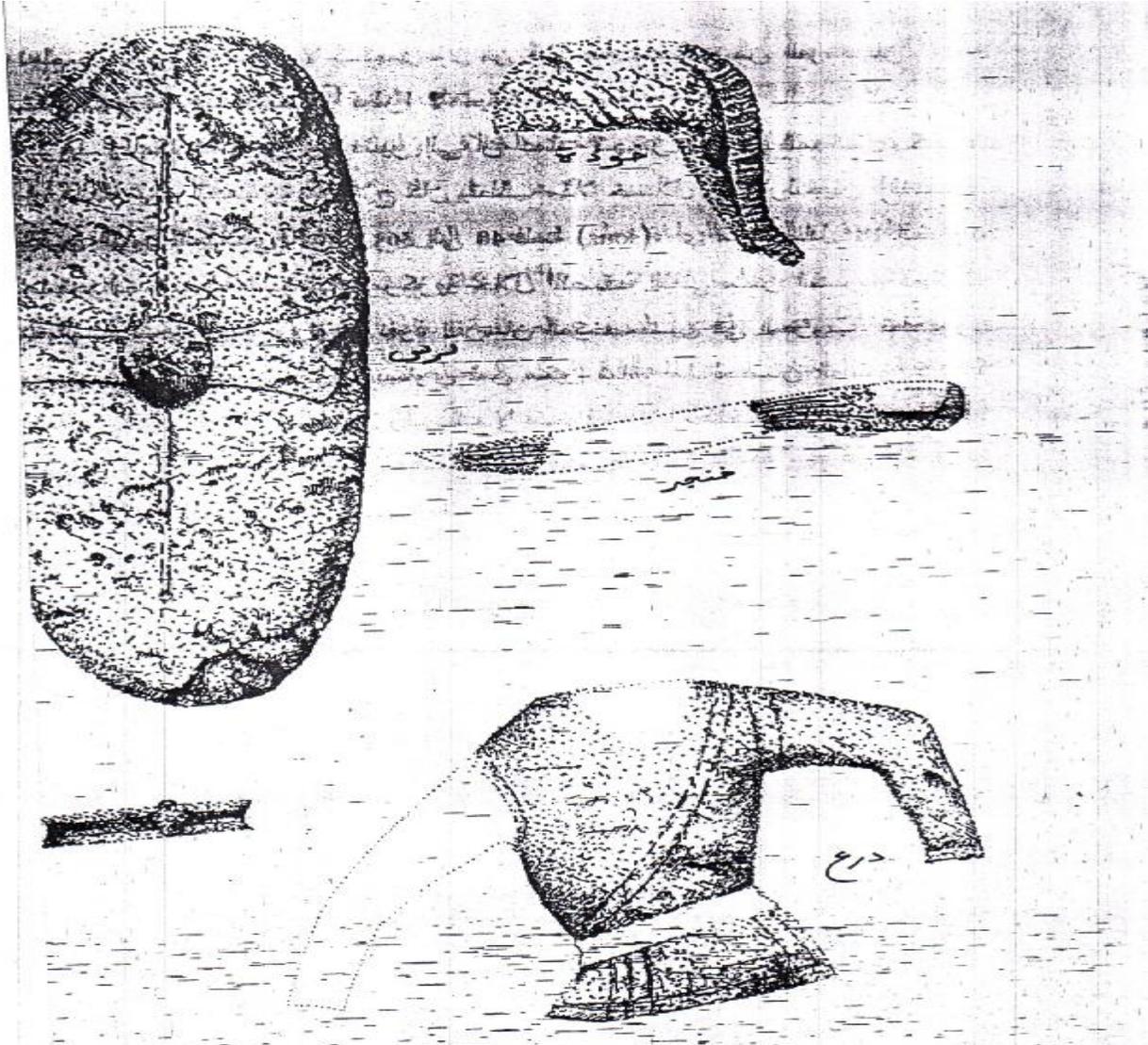
Dorling Kindersley

Collection Microsoft © Encarta © 2005. © 1993-2004 Microsoft Corporation. Tous droits réservés.

الملحق رقم 05



السيف الإفريقية

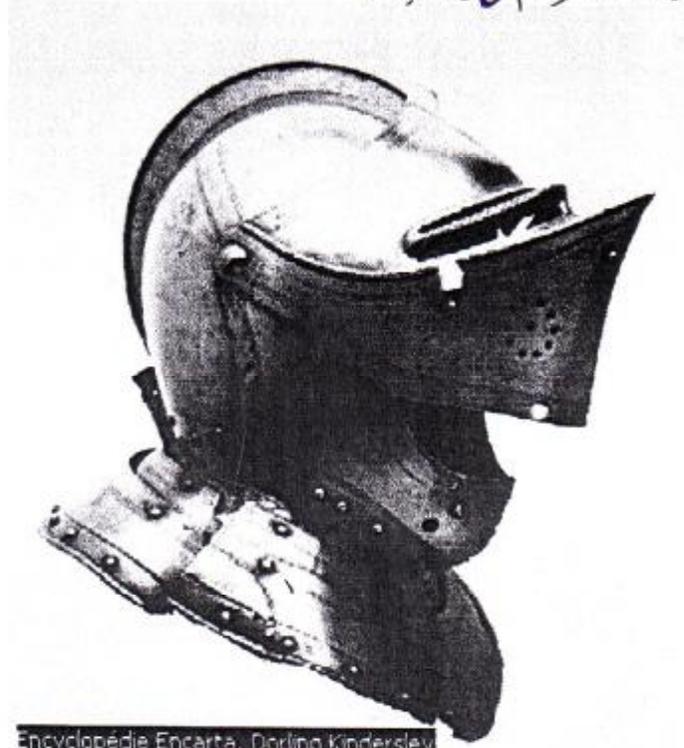


المرجع: المتحف الوطني الأركيولوجي مدريد 1997.

حناوي: المرجع نفسه 274



الملحق رقم 08 «ب»



Encyclopédie Encarta, Dorling Kindersley

الخوذة

الملحق رقم 09

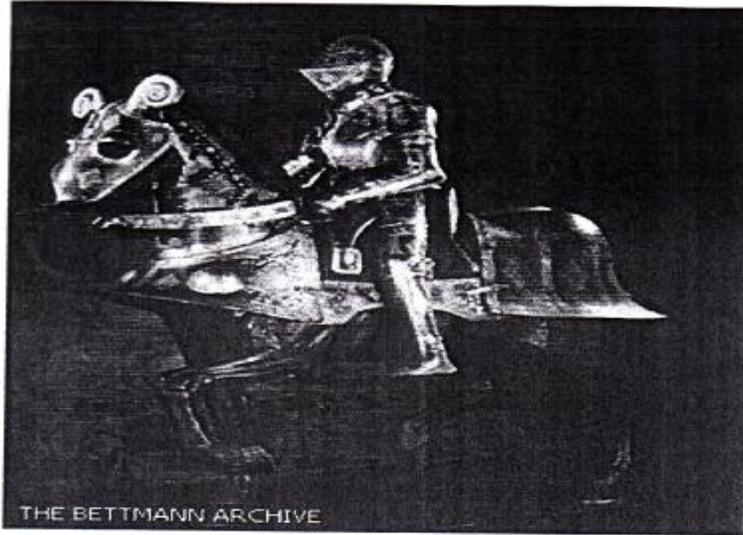


Dorling Kindersley

اللباس الحربي

Collection Microsoft © Encarta © 2005. © 1993-2004 Microsoft Corporation. Tous droits réservés.

الملحفا رقم 10

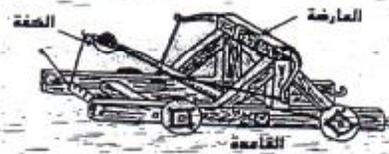
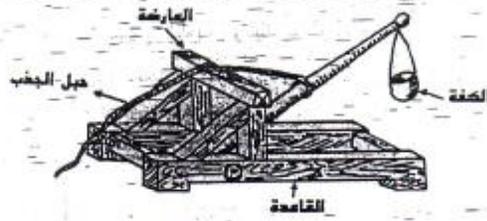
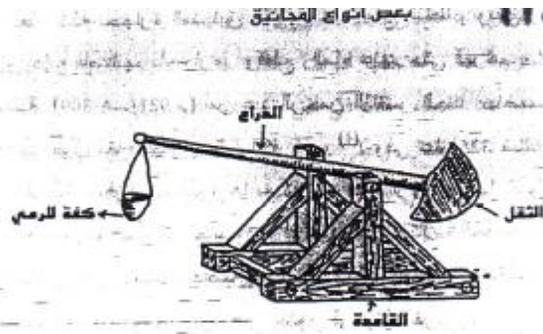


THE BETTMANN ARCHIVE

فارس إسباني بجميع أسلحته.

THE BETTMANN ARCHIVE

Collection Microsoft © Encarta © 2005. © 1993-2004 Microsoft Corporation. Tous droits réservés.

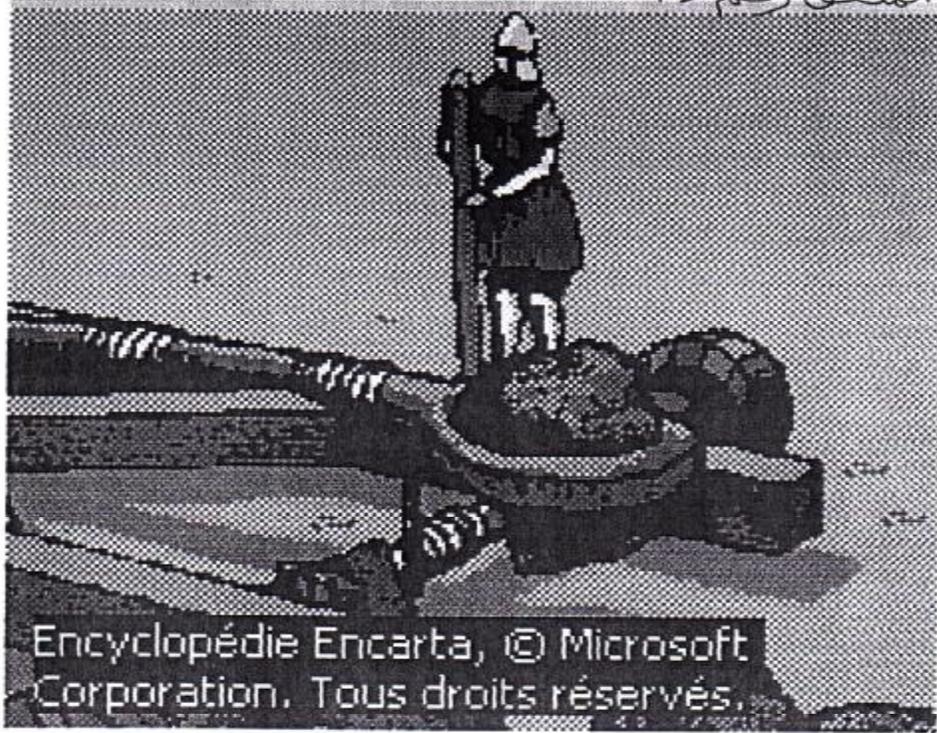


يُصَرَّف:

Radhi BASHIR Hassan Med
El objeto en la época del Califato del-At Andalus. T-2, p. 81

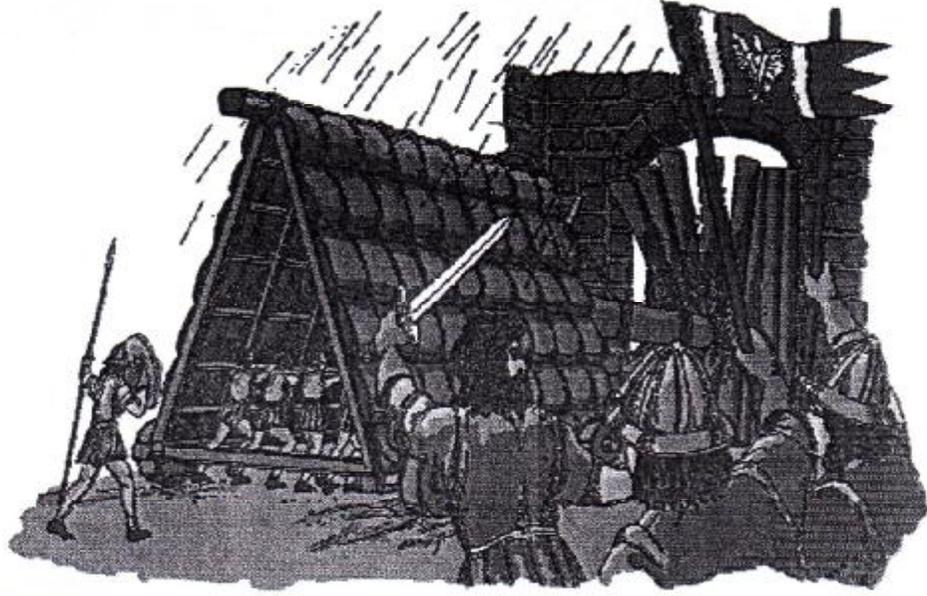
حناوي: المرجع نفسه، 269

الملحق رقم 12



المنجنيق أحد أسلحة القتال الثقيلة.

الملحق رقم 13



Encyclopédie Encarta © Microsoft Corporation. Tous droits réservés.

أسلحة القتال الثقيلة * الكيش *

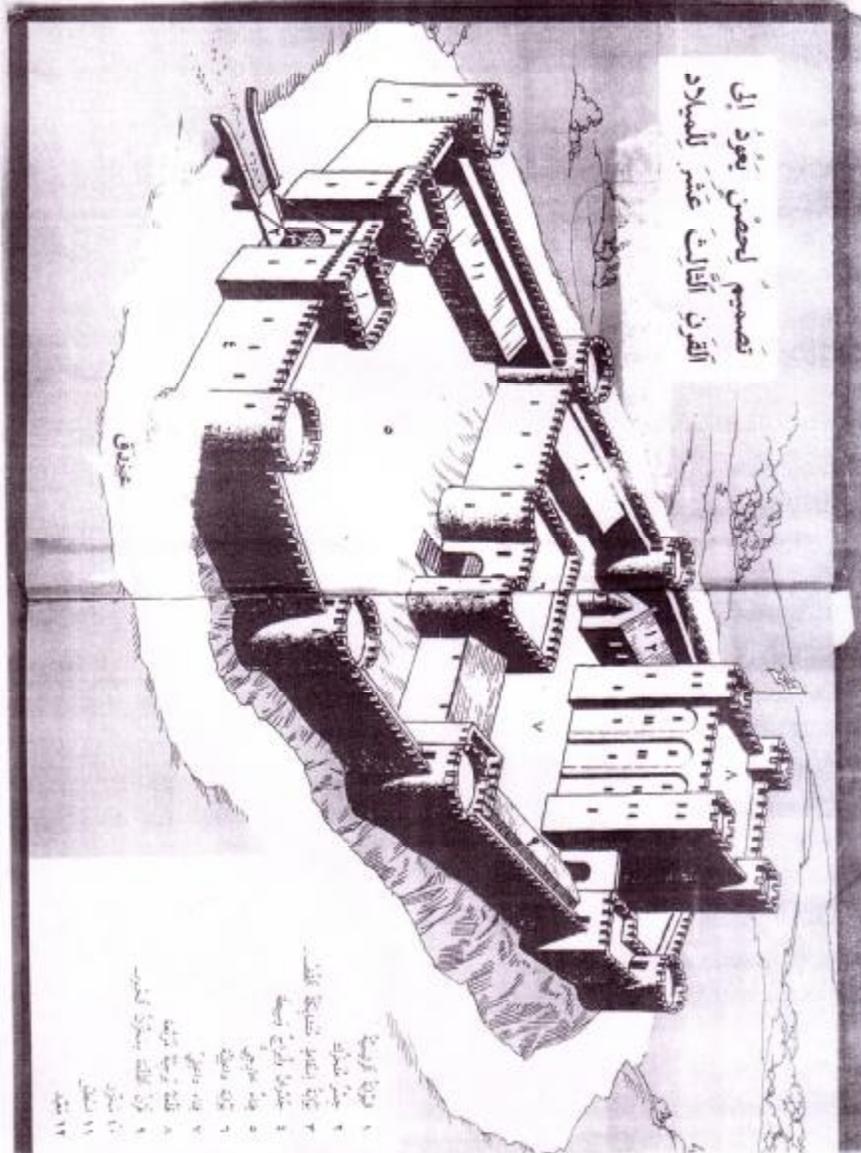


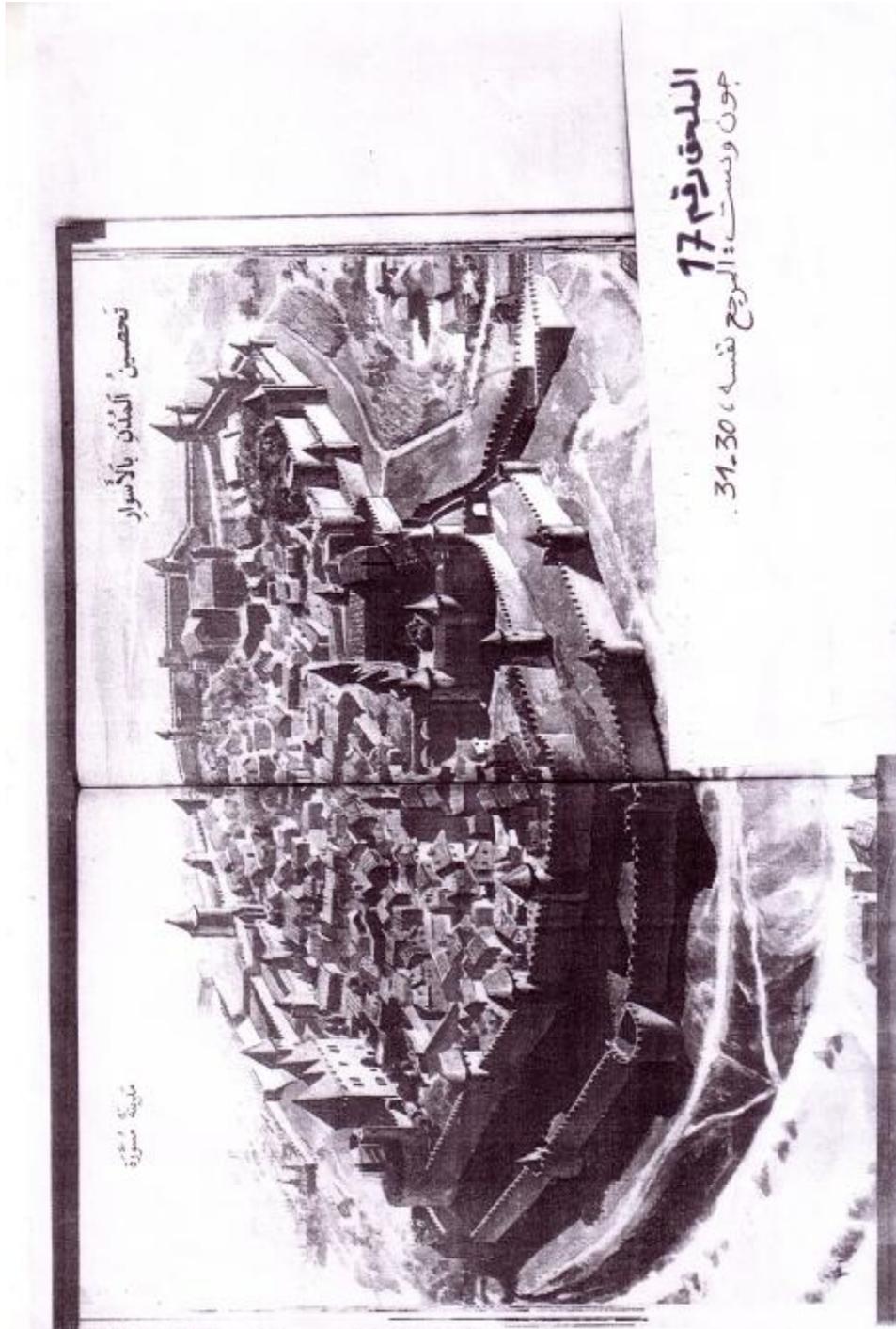
المدنية (مركز الممرورة) ويرتفع في سماء المدينة أيضاً برج الكاتدرائية
 طابطة يحيط بها نهر تاجة من ثلاث جهات ويندر القصر العربي أعلى سفاني

المرح رقم 14
 عباس رضا هادي: الأندلس، منشورات ELGA مالطا، 1988، 333



الملحق رقم 16
جون ويست: الحصون والقلاع، تعريب أحمد الخطيب، مكتبة لبنان، بيروت
53-52 / 1988





الملحق رقم 18

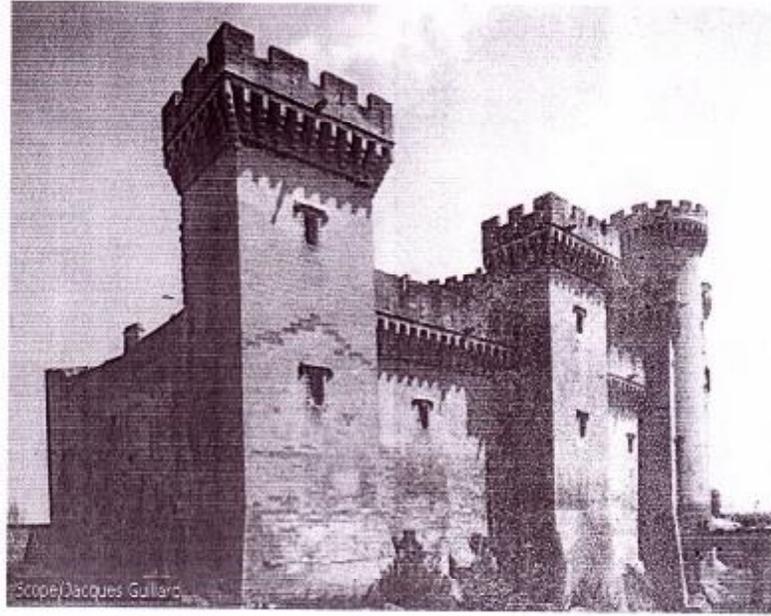


Corbis/David Cumming/Eye Ubiquitous

قلعة منزارا قرب مدينة مجريط.

Corbis/David Cumming/Eye Ubiquitous
Collection Microsoft © Encarta © 2005. © 1993-2004 Microsoft Corporation. Tous droits réservés.

الملحق رقم 19

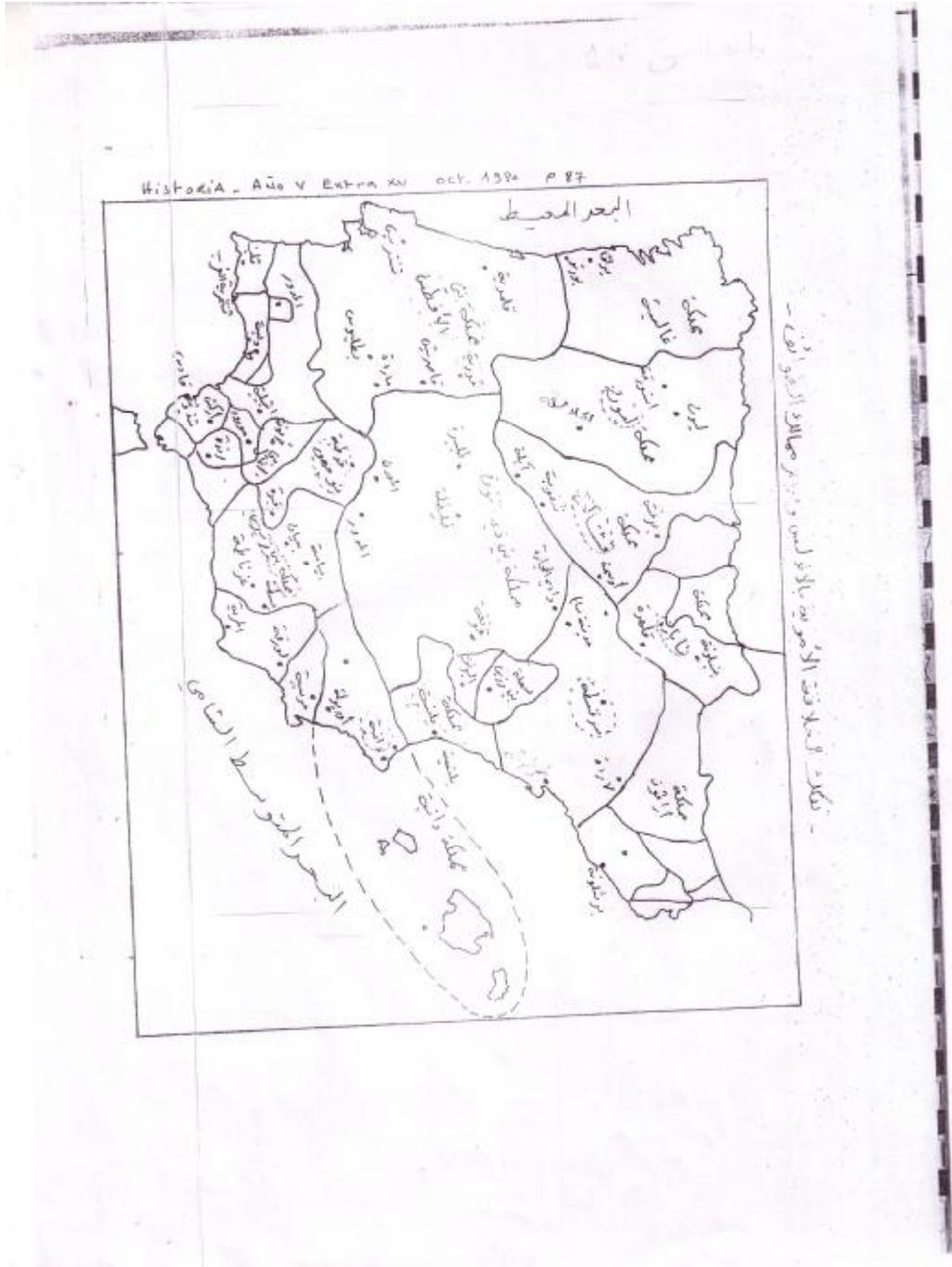


Scope/Jacques Guillard

أحد قلاع مدينة طرسونة

Scope/Jacques Guillard

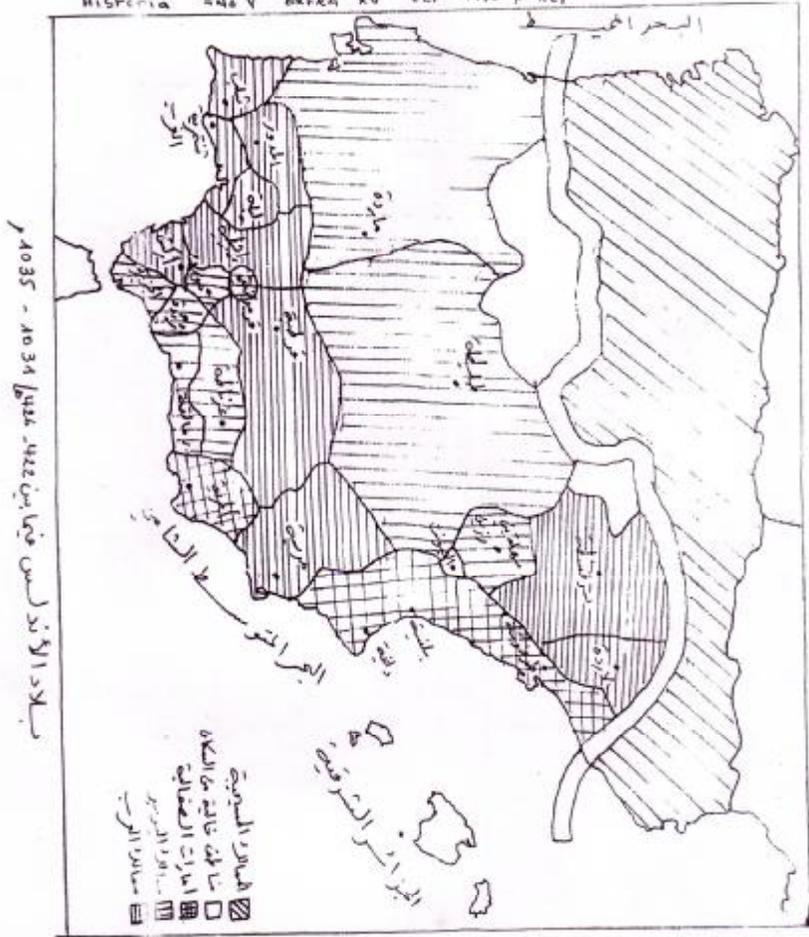
Collection Microsoft © Encarta © 2005. © 1993-2004 Microsoft Corporation. Tous droits réservés.



تفكيك الامبراطورية المجرية بالانجليزية - تاريخ صهيون اليهودي -

البلد

Historia Arab. v. 124 xv. 1930 p. 427



بوياية : المروج نفسه،

فهرس عام:

- ◀ فهرس المصادر والمراجع.
- ◀ فهرس الأعلام.
- ◀ فهرس البلدان والأماكن.
- ◀ فهرس القبائل والشعوب.
- ◀ فهرس الموضوعات.

فهرس المصادر والمراجع:

◀ مصادر التاريخ الإسلامى:

- 01- ابن أبي زرع علي الفاسي (726هـ/1325م): الأنيس المطرب في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.
- 02- ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي الكرم (630هـ / 1232م): الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، 1405هـ/ 1985م.
- 03- البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي (279 هـ/892م) فتوح البلدان، عنى بمراجعته والتعليق عليه رضوان محمد رضوان، المكتبة التجارية الكبرى مصر 1959م.
- 04- ابن بلقين عبد الله (469هـ/1079م): مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان عن الحادثة الكائنة، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، [د.ت.ط].
- 05- ابن حيان أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن محمد (469هـ/1079م): المقتبس خمسة من سنوات الحكم المستنصر، تحقيق الحجي عبد الرحمن علي، دار الثقافة، لبنان.
- 06- ابن الخطيب لسان الدين السلماني (776هـ/1374م): إسبانيا الإسلامية من كتاب أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق مكتب الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1424هـ/2004م.
- 07- ابن خلدون عبد الرحمن (808هـ/1405م): مقدمة ابن خلدون، ضبط وشرح وتقديم محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، 1425هـ/2005م.

-كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن
عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت،
لبنان. [د.ت.ط].

08- السلاوي أحمد بن خالد الناصري (1270هـ/1854م): الاستقصا لأخبار
دول المغرب الأقصى [د.ت.ط] ولا دار النشر.

09- ابن عذارى المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/1320م):
-البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ليفي بروفنسال وآخر، دار
الثقافة- بيروت، 1929م.

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح إحسان عباس، دار الثقافة
بيروت لبنان ط3، 1983م.

10- عبد الواحد المراكشي (668هـ/1270م):
المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح د. محمد زينهم محمد عزب، دار
الفرجاني للنشر والتوزيع القاهرة. مصر (1414هـ/1994م).

11- ابن القطان أبو محمد محسن بن علي بن محمد بن عبد الملك المراكشي
الكتامي (638هـ/1230م):

نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح محمود علي مكي، دار
الغرب الإسلامي بيروت ط1، 1990م.

12- ابن الكردبوس أبو مروان عبد الملك التوزري (أواخر القرن 6هـ/12م):
تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط قطعة صلة السمط وسمة المرط للمؤرخ
التونسي محمد بن علي بن محمد بن الشباط، تح أحمد مختار العبادي، معهد
الدراسات الإسلامية مدريد 1971م.

13- مؤلف مجهول (ق8هـ/14م):

الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح سهيل زكار وآخر، دار الرشاد
الحديثة، الدار البيضاء المغرب ط1 1399هـ/1979م.

◀ مصادر النظم:

- 01- الطرطوشي، محمد بن الوليد (520هـ/1126م):
سراج الملوك، تح جعفر البياتي، رياض الريس للكتاب والنشر لندن ط1 آب/
 أغسطس 1990م.
- 02- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (450هـ/1057م):
الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية بيروت لبنان [د.ت.ط].
- 03- ابن هذيل علي بن عبد الرحمن الأندلسي (763هـ/1361م)
تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، تح عبد الإله أحمد نبهان وآخر، مركز زايد
 للتراث والتاريخ، العين الإمارات العربية المتحدة ط1، 1425هـ/2004م.

◀ مصادر المسالك والممالك:

- 01- الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (النصف الأول من
 ق4هـ/10م):
المسالك والممالك، تح د. محمد جابر عبد الله الحيني، [د.ت.ط] ولا مكان
 الطبع.
- 02- البكري أبو عبيد الله الشريف (487هـ/1094م):
جغرافية الأندلس وأوروبا (من كتاب المسالك والممالك)، تح د. عبد الرحمن علي
 الحجى، دار الإرشاد بيروت ط1، 1387هـ/1968م.
- 03- ابن خرداذبة أبو القاسم عبد الله بن عبد الله (300هـ/913م):
المسالك والممالك ويليه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبي الفرج قدامة
 بن جعفر الكاتب البغدادي المتوفى سنة 300هـ، مكتبة المثنى بغداد. [د.ت.ط].

◀ مصادر الجغرافية والمعاجم:

- 01- الإدريسي أبو عبد الله الشريف (547هـ/1154م):

- القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تح
إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر. [د.ت.ط].
- 02- ابن حوقل أبو القاسم (380هـ/990م):
كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة لبنان ط2، 1992م.
- 03- الحميري محمد بن عبد المنعم (727هـ/1335م).
الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة ط2،
1980م.
- 04- الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (626هـ/1228م):
معجم البلدان، تح فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية بيروت ط1،
1410هـ/1990م.
- 05- الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (أواسط ق6هـ/12م):
كتاب الجغرافية، تح محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية مصر. [د.ت.ط].
- 06- ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى (685هـ/1278م):
كتاب الجغرافيا، تح إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ط2،
1982م.
- 07- ابن غالب محمد بن أيوب (ق: 6هـ/12م):
منتقى من فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تح لطفي عبد البديع، مجلة معهد
المخطوطات العربية القاهرة، رمضان 1374هـ/ماي 1955م.
- 08- أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (732هـ/1340م):
تقويم البلدان، قد اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود وآخر، طبع بمدينة باريس بدار
الطباعة السلطانية 1850م.
- أعدت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى بغداد لصاحبها قاسم محمد الرجب.
- 09- القلقشندي أبو العباس أحمد (821هـ/1418م).
صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية القاهرة 1340هـ/
1922م

- 10- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين (346هـ/957م).
التنبيه والإشراف صححه وراجعه عبد الله إسماعيل الصادق، المكتبة العصرية
بغداد 1357هـ/1938م.
11- مؤلف مجهول.

ذكر بلاد الأندلس، تح لويس موليفا

Consejo superior de investigaciones científicas, instituto
« Miguel Asin » Madrid 1983.

◀ المصادر الأدبية:

- 01- ابن بسام أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (543هـ/1147م):
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية
بيروت، ط1، 1419هـ/1998م.
02- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (255هـ/868م):
البيان والتبيين، قدمها وبوبها وشرحها د.علي أبو معلم، مكتبة الهلال بيروت
ط1، 1408هـ/1988م.
03- ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن (321هـ/933م):
كتاب جمهرة اللغة، تح رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين بيروت لبنان
ط1، 1987م.
04- ابن زكريا أبو الحسن بن فارس (395هـ/1004م):
معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي مصر ط3،
1402هـ/1981م.
05- الزجاجي أبو يحيى، عبيد الله بن أحمد القرطبي (694هـ/1294م):
أمثال العوام في الأندلس، تح د.محمد بن شريفة، مطبعة محمد الخامس الثقافية
والجامعية الرباط، جمادى الأولى 1391هـ/يوليو 1971م).
06- ابن سيده أبو الحسين علي بن إسماعيل (458هـ/1065-1066م):
-المخصص، دار الفكر بيروت. [د.ت.ط].

- المحكم والمحيط الأعظم، تح إبراهيم الأبياري معهد المخطوطات بجامعة
الدول العربية مصر، ط1، 1371هـ/1971م.
- 07- ابن عبد ربه أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (336هـ/948م):
كتاب العقد الفريد شرحه وضبطه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين
وآخرون، دار الكتاب العربي بيروت، ط3، 1403هـ/1983م.
- 08- الفيروز أبادي الشيرازي محمد الدين محمد بن يعقوب (817هـ/1414م):
القاموس المحيط، مطبعة الميرية بولاق مصر ط1، 1301هـ/1882م.
- 09- المقرئ شهاب الدين أحمد (1041هـ/1632م):
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح يوسف الشيخ محمد البقاعي دار
الفكر بيروت ط1، 1419هـ/1998م.
- 10- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (711هـ/1311م):
لسان العرب، تح عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف القاهرة
[د.ت.ط].

◀ مصادر الطبقات والتراجم :

- 01- ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (658هـ/
1260م):
الحلة السبراء، تح حسين مؤنس دار المعارف القاهرة ط2، 1985م.
- 02- ابن بشكوال أبو القاسم خلف الله بن عبد الملك (578هـ/1184م):
كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، اعتنى به ووضع فهارسه د. صلاح
الدين الهوارى، المكتبة العصرية بيروت ط1، 2003/1423م.
- 03- ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (456هـ/1064م).
جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1418هـ/1998م.

04- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (681هـ/ 1283 م):

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح إحصان عباس دار صادر بيروت.
[د.ت.ط].

05- ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى (685هـ/1278م):
المغرب في حلى المغرب، تح د. شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة ط1،
1964م.

◀ مصادر الحديث والفتاوى:

- 01- العسقلاني الحافظ أحمد بن علي بن حجر (852هـ/1449م):
فتح الباري شرح صحيح البخاري، تح الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الباز
ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام الرياض ط3،
1421هـ/2000م.
- 02- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى (914هـ/1508م).
المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس
والمغرب، إشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
للمملكة المغربية 1405هـ/1985م.

◀ مراجع التاريخ السياسي:

- 01- أرسلان شكيب: غزوات العرب، مكتبة الحياة لبنان، 1966م.
- 02- أشباح يوسف: تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، تح عبد الله
عان، مكتبة الخانجي القاهرة. [د.ت.ط].

- 03- البوطي محمد سعيد رمضان: فقه السيرة النبوية، دار الفكر دمشق ط11، 1412هـ/1991م.
- 04- بودشيش إبراهيم القادري: إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، دار الطليعة بيروت، ط1، مارس 2002م.
- 05- بلغيث محمد الأمين: دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار التنوير للنشر والتوزيع الجزائر 1426هـ./2006.
- 06- جون وست: الحصون والقلاع، تعريب أحمد الخطيب، مكتبة لبنان بيروت، 1988م.
- 07- حركات إبراهيم: المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط، دار إفريقيا الشرق المغرب، 1998م.
- 08- خلاف محمد عبد الوهاب: قرطبة الإسلامية، الدار التونسية تونس [د.ت.ط].
- 09- خليفة حامد محمد: يوسف بن تاشفين، دار القلم دمشق ط1، 1424هـ/2003م.
- 10- ربيع محمد حسنين: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية بيروت، ط5، 1995م.
- 11- رضا هادي عباس: الأندلس محاضرات في التاريخ والحضارة، منشورات إجا مالطا، 1998م.
- 12- سالم السيد عبد العزيز: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1985م.
- 13- السامرائي خليل إبراهيم وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار المدار الإسلامي بيروت، ط1، 2004م.
- 14- الشكعة مصطفى: الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته، الدار المصرية اللبنانية بيروت، ط3، 1413هـ/1992م.
- 15- الصلابي علي محمد: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة، ط1، 1424هـ/2003م.

- 16- العبادي مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ط2، 1425هـ/2005م.
- 17- عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي القاهرة ط3، 1408هـ/1988م. (جميع الأجزاء).
- 18- كمال أحمد عادل: القادسية، دار النفائس لبنان، ط9، 1409هـ/1989م.
- 19- لقبال موسى: المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط3، 1984م.
- 20- مؤنس حسين:
- فجر الأندلس، الدار السعودية للنشر والتوزيع الرياض، ط2، 1405هـ/1985م.
- معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشد القاهرة، 2004م.
- 21- النشار محمد محمود: دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية القاهرة، ط1، 2007م.
- 22- نعنعي عبد المجيد: الإسلام في طليطلة، دار النهضة العربية، بيروت. [د.ت.ط.]

◀ مراجع النظم:

- 01- حسن إبراهيم حسن وآخر: النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ط4، 1970م.
- 02- حناوي محمد: النظام العسكري في عصر الخلافة والطوائف، دار أبي قرقاق للطباعة والنشر الرباط، ط1، 2003م.
- 03- ابن خلدون جمال عبد الملك: الإستراتيجية في العصر ذري من الردع إلى حرب النجوم، دار الجيل بيروت، ط2، 1987م.

- 04- زغروت فتحي: الجيش الإسلامي وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ط1، 1426هـ/2005م.
- 05- زيدان جرجي: تاريخ التمدن، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، [د.ت.ط].
- 06- صبحي الصالح: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط2، 1990م.
- 07- عميرة عبد الرحمن: الإستراتيجية الحربية في إدارة المعارك في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 2006م.
- 08- فرج محمد: المدرسة العسكرية الإسلامية، دار الفكر العربي بيروت، [د.ت.ط].

◀ المراجع الجغرافية:

- 01- أرسلان شكيب: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار الكتاب الإسلامي القاهرة. [د.ت.ط].
- 02- بالباس ليو بولد توراس: المدن الإسبانية، ترجمة إيو دورودي لابنيا، ط1، 1423هـ/2003م.
- 03- الفرا طه عثمان وآخر: المدخل إلى علم الجغرافيا، دار المريخ الرياض، ط2 [د.ت.ط].
- 04- موسى عز الدين أحمد: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال فترة القرن السادس الهجري، دار الشروق بيروت، ط1، 1403هـ/1982م.
- 05- مؤنس حسين: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي القاهرة، ط1، 1407هـ/1987م.

◀ مراجع التراجم:

- 01- الزركلي خير الدين: الأعلام، دار الملايين بيروت لبنان، ط7، 1986م.

◀ الموسوعات والقواميس:

- 01- أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1383هـ / 1963م.
- 02- دائرة المعارف الإسلامية: ترجمة أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد، دار المعرفة، بيروت، [د.ت.ط].
- 03- موسوعة الحضارة العربية الإسلامية: اللواء جمال محفوظ وآخرون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1987.
- 04- الموسوعة العسكرية: رئيس التحرير المقدم الهيثم الأيوبي وآخرون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط3، 1990م.

◀ الرسائل الجامعية:

- 01- بوباية عبد القادر: البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة ق5هـ/11م
- رسالة دكتوراه- تحت إشراف غازي جاسم الشمري، جامعة وهران السانية الجزائر، 1422-1423هـ/2001-2002م.
- 02- محمد رضا عبد العال: الثغر الأعلى الأندلسي في ق4هـ/10م - رسالة دكتوراه- تحت إشراف أ.د. محمد إسماعيل عبد الرزاق، جامعة عين شمس القاهرة 1409هـ/1988م.

◀ الدوريات:

- 01- أحمد علي: اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، مجلة آفاق الثقافة والتراث دبي، الإمارات السنة الخامسة، العدد 17 محرم 1418هـ / مايو 1997م.

- 02- بودشيش إبراهيم القادري: دولة المرابطين والأساس العسكري في تكوينها وبناء نظامها الإداري، مجلة الحرس الوطني، الرياض العدد 156، ربيع الأول 1416هـ، أوت 1995م.
- 03- الحميميدي العميد محمد بن علي: مبادئ الحرب، مجلة الحرس الوطني، الرياض، العدد 178، محرم 1418هـ/ماي 1997م.
- 04- زكي عبد الرحمن: العمارة الحربية في العصور الوسطى بين العرب والصلبيين، المجلة التاريخية المصرية القاهرة المجلد 07، 1957م.
- 05- ابن طوالة سعد بن مزعل العميد: فن القيادة والمهام القتالية، مجلة الحرس الوطني - الرياض - العدد 148 جمادى الآخر 1415هـ/نوفمبر 1994م.
- 06- العبادي مختار: صور لحياة العرب والجهاد في المغرب والأندلس، مجلة العصور، دار المريخ للنشر بالرياض، جمادى الأولى 1406هـ/ جانفي 1986م.
- 07- منصور توفيق علي اللواء الركن: القتال في الجبال والغابات، مجلة الحرس الوطني الرياض، العدد 156، ربيع الأول 1416هـ/أغسطس 1995م.
- 08- مؤنس حسين: الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، المجلة التاريخية المصرية المجلد 11، ديسمبر 1949م.

◀ المراجع الأجنبية:

- 01-Clot André : L'Espagne musulmane VIII- XVeme siècle. Edition Perrin ; Paris ,2004.
- 02- Encarta Microsort, Encyclopédie Professionnelle 2005.
- 03- Guichard Pierre : AL-Andalus 711-1492, Hachette, Littératures, Paris ,2000.
- 04- Lévi Provençal : L'Espagne musulmane au X eme siècle, Maisonneuve Et La rose, Paris 2002.

فهرس الأعلام:

أ أ

- 01- أحمد عماد الدين: 91..
- 02- أحمد بن سليمان (المقتدر): 54، 80، 81، 82، 90.
- 03- الإدريسي: 12، 16، 24.
- 04- أدفونشو بن فرناند: 73.
- 05- ابن أبي زرع: 86.
- 06- أسامة بن زيد: 45.
- 07- أشباخ: 86، 88.
- 08- الاصطخري: 18، 30.
- 09- ألفونسو السادس: 63، 84، 85، 87، 88.
- 10- أندري كلو: 17.
- 11- ألفونسو المحارب: 91، 92.

ب ب

- 01- ابن بسام: 81.
- 02- أبو بكر (الصدیق): 40.
- 03- أبو بكر بن إبراهيم بن تافلوت: 92.
- 04- البكري: 12، 23.
- 05- بلج بن بشر: 29.
- 06- بيار غيشار: 52.

ت ت

- 01- تاشفين بن علي: 85.
- 02- تميم بن يوسف: 95.

ح ح ح

- 01- ابن حزم: 18.
- 02- حسان بن النعمان: 39.
- 03- حسين مؤنس: 92.
- 04- حمزة بن عبد المطلب: 45.
- 05- الحموي: 03.
- 06- الحميري: 17، 26، 71.
- 07- ابن حوقل: 05.
- 08- ابن حيان: 53، 83.

خ خ خ

- 01- خالد بن الوليد: 39.
- 02- ابن خلدون: 18، 34، 35، 63.
- 03- ابن الخطيب: 61.
- 04- ابن خلكان: 64.

د د د

- 01- ابن دريد: 02.

ر ر ر

- 01- الرازي: 13، 24.
- 02- ردميل: 68.
- 03- ابن ردميل: 92.

ز ز ز

- 01- الزهري: 26، 27.
- 02- زهير بن قيس البلوي: 39، 40.

س

- 01- سعد بن أبي وقاص: 40.
- 02- سعادة: 68.
- 03- ابن سعيد: 13.
- 04- سليمان عليه السلام: 43.
- 05- سليمان بن هود: 53، 75، 76، 77، 78، 79.
- 06- ابن سيده: 02.
- 07- سير بن أبي بكر: 67، 85.

ش

- 01- شانجه: 78، 79.
- 02- شرحبيل بن حسنة: 40.
- 03- شعيب عليه السلام: 43.
- 04- شكيب أرسلان: 08.

ص

- 01- الصلابي: 54.

ط

- 01- طارق بن زياد: 06.
- 02- طالوت: 44.

ع

- 01- آل عامر: 53.
- 02- ابن عائشة: 85، 87، 89، 91.
- 03- ابن عباد: 77، 91.
- 04- عبد الرحمن بن إسماعيل: 78.
- 05- عبد الرحمن الداخل: 40، 49.
- 06- عبد الرحمن بن رستم: 40.

- 07- عبد العزيز سالم: 71.
- 08- عبد الله (الأمير): 49.
- 09- عبد الله بن الزبير: 05.
- 10- عبد الله بن سعد: 40.
- 11- عبد الملك بن مروان: 05.
- 12- أبو عبيدة بن الجراح: 40.
- 13- عثمان بن عفان: 04.
- 14- ابن عذارى: 76، 83.
- 15- عقبة بن نافع: 05، 40.
- 16- علي بن عبد الرحيم: 56.
- 17- علي بن يوسف: 85، 86، 89.
- 18- عمر بن الخطاب: 42، 63.
- 19- عمرو بن العاص: 40.

⊆ غ ⊆

- 01- غارسيه(غرسيه): 76، 77، 78.
- 02- ابن غالب: 18، 19.

⊆ ف ⊆

- 01- ابن فارس: 02.
- 02- ابن فتحون: 64.
- 03- فرناندو: 51، 76، 77، 78، 79، 80.
- 04- الفنش: 52.
- 05- الفيروز أبادي: 02، 09.

⊆ ق ⊆

- 01- قتيبة بن مسلم: 40.
- 02- ابن قدامة: 05.

- 03- قسطنطين: 07.
- 04- ابن القطان: 86.
- 05- القلقشندي: 25.

م م م

- 01- الماوردي: 41، 42، 65.
- 02- محمد-صلى الله عليه وسلم-: 41، 43، 46.
- 03- محمد بن الأشعث: 40.
- 04- محمد الأمين بلغيث: 88.
- 05- محمد بن الحاج: 85، 91.
- 06- محمد بن عبد الله مزدلي: 92.
- 07- محمد بن فاطمة: 85، 87، 89، 91.
- 08- مختار العبادي: 08.
- 09- المراكشي: 86.
- 10- مزدلي بن محمد: 67.
- 11- المستعين: 64، 90.
- 12- معاوية بن حديج: 40.
- 13- معاوية(ابن أبي سفيان): 04، 42.
- 14- المقري: 13، 19، 24.
- 15- منصور توفيق علي: 89.
- 16- المنصور بن أبي عامر: 09.
- 17- أبو مهاجر دينار: 40.
- 18- موسى عليه السلام: 43.
- 19- موسى بن نصير: 05، 06، 18، 30، 40.

هـ

01- ابن هود: 53، 54.

و

01- الوليد بن عبد الملك: 05، 06.

ي

01- يحيى إسماعيل (المأمون): 75، 76، 77، 78، 79، 80.

02- يليان: 06.

03- يوسف بن سليمان: 80، 81.

فهرس القبائل والشعوب والأمم:

أ

01- بنو أشرس بن كندة: 20.

02- بنو الأفطس: 80، 83.

03- الإفرنج: 91.

ب

01- بنو تجيب: 77، 78، 79، 80، 90.

ج

01- جذام: 30.

ذ

01- بنو ذي النون: 18، 77، 79، 83.

ر

01- الروم: 03، 53، 81، 86، 90، 92.

02- الرومان: 33.

ز

- 01- الزبارقة: 19.
- 02- زناة: 18، 19، 30.
- س
- 01- الساسانية: 04.
- 02- بنو سالم: 18.
- ش
- 01- بنو شبراط: 30.
- ص
- 01- صنهاجة: 18.
- ط
- 01- بنو طويل: 30.
- ع
- 01- العدنانيون: 09، 19.
- 02- بنو عذرة: 30.
- 03- العرب: 03، 60.
- 04- بنو عزون: 18.
- 05- بنو عمروس: 30.
- 06- بنو عوف: 19.
- غ
- 01- الغساسنة: 03.
- ف
- 01- بنو الفرغ: 18.
- 02- الفرس: 03، 04.

03- بنو فوارتش: 30.

ق

01- القحطانيون: 29.

02- بنو قسي: 30.

03- القشتاليون: 90.

04- القوط: 33.

ك

01- كتامة: 18.

02- بنو كعب: 29.

م

01- بنو مخزوم: 19.

02- مصمودة: 18، 19.

03- مكناسة: 18، 30.

04- المناذرة: 03.

ن

01- نفازة: 18.

02- النورمانديون (البيطين، الأرمانيون، البيطش، الأردنمليس): 80، 81، 82.

هـ

01- هوارة: 18، 19.

02- هوتوتة: 19.

03- بنو هود: 30، 77، 78، 79، 80، 90.

ي

01- اليمانية: 29.

فهارس الأماكن:

أ

- 01- أبله(مدينة): 13.
 02- إبرو(نهر): 24، 25، 26، 35، 36.
 03- أراغون: 23، 28، 30، 93، 102.
 04- أرنيط: 25، 91.
 05- إسبانيا: 07، 13، 76.
 06- الإسكندرية: 04.
 07- أسوان: 05.
 08- إفراغة: 24، 25، 27.
 09- إفريقيبا: 05، 06.
 10- إقليش: 13، 14، 18، 86، 87.
 11- الأندلس: 06، 07، 13، 18، 23، 24، 29، 34، 46، 49، 50، 53، 55، 59، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 68، 69، 73، 75.
 12- أيوب(قلعة): 23، 25، 29، 93.

ب

- 01- بلاد الترك: 16.
 02- بلياسن: 24.
 03- برشلونة: 24، 92.
 04- بنسية: 12، 23، 85.
 05- بربشتر: 24، 25، 30، 80، 81.

ت

- 01- نهر تاجة: 08، 14، 15، 17، 34، 35.

02- ترجاللة: 13.

03- تطيلة: 23، 24، 25، 26، 30، 35، 53، 77، 91.

04- تونس: 05.

ث

01- الثغر: 02، 04، 05، 06، 07، 09، 12، 14، 18، 23، 30، 42، 46،

53، 54، 72، 75، 77.

02- الثغر الأدنى: 08، 15، 28، 34، 35، 43، 47، 68، 78، 80، 90، 93.

03- الثغر الأعلى: 23، 24، 25، 28، 29، 30، 31، 34، 35، 36، 43،

47، 68، 76، 77، 79، 80.

04- ثغر إفريقيا: 06.

05- الثغور الأندلسية: 07، 08، 09، 46.

06- الثغور البحرية: 05.

07- الثغور البرية: 04، 05.

08- الثغور الجزرية: 05.

09- ثغور الجلافة: 12، 55، 52، 56، 77، 87، 88، 89، 99.

10- الثغور الساحلية: 04.

11- الثغور الشامية: 05.

12- ثغور الغرب: 05.

13- الثغور الشرقية: 05.

ج

01- جاقا: 25.

02- جبل اللكام: 05.

03- جبال البرينييه (البرتات): 24.

04- جبال الشارات: 13.

- 05- جريندة: 24.
- 06- الجزيرة: 03، 04.
- 07- جزيرة ايبيريا: 45.
- 08- جليق(نهر): 29.
- 09- جليقية: 08، 09، 51.

د د

- 01- دروق(قلعة): 25، 29.
- 02- دمياط: 05.

س س

- 01- سالم(مدينة): 08، 12، 14، 15، 18، 35، 77، 78، 79.
- 02- سرقسطة: 07، 12، 23، 24، 25، 29، 30، 31، 51، 54، 63، 68، 77، 91، 92، 93.
- 03- السهلة: 23.
- 04- السيجري(نهر): 35.

ش ش

- 01- الشام: 03، 04، 16، 41.
- 02- شنتبرية: 18.
- 03- شنترين(مدينة): 13.
- 04- شنفيز(نهر): 27.

ط ط

- 01- طرطوشة: 24، 28، 60، 70.
- 02- طركونة: 24، 25، 31، 36، 70.
- 03- طليبرة: 12، 13، 14، 15، 19، 66، 89.
- 04- طليطلة: 08، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 21، 23، 28، 30، 34، 67، 68، 77، 78، 79، 84، 85، 90، 93.

05- طنجة: 06.

ع ع

01- العراق: 03، 04، 16، 41.

ع غ

01- غرناطة: 12.

ع ف

01- فارس: 04.

02- الفرج (مدينة): 13.

03- فرنسا: 09، 45.

04- الفهمين: 13.

ع ق

01- قربلان (قرية): 29.

02- قرطبة: 12، 30، 50.

03- القسطنطينية: 07.

04- قشتالة: 12، 17، 93.

05- قطالونيا: 09، 23، 91.

06- قلهرة (قلعة): 77.

07- فنالش: 84.

08- قورية: 13، 16.

09- قونقة: 12.

10- القيروان: 05، 06.

ع ك

01- كالش (واد): 26.

ع ل

01- لاردة: 24، 25، 27، 30، 35، 70.

02- ليون: 12، 17، 51، 60.

⊆ م

01- ماردة: 08.

02- مجريط: 13، 14، 35، 90.

03- المدور (مدينة): 12.

04- المدينة المنورة: 41.

05- مصر: 04، 05، 16.

06- المعدن (مدينة): 12.

07- مغم (مدينة): 16.

08- المغرب: 40.

09- مكة: 06.

10- مكناسة: 25، 30.

11- مورة: 13.

⊆ ن

01- نبرة: 23، 53.

02- نهر الحمة: 29.

03- نهر شنفيز: 27.

04- نهر دويرة: 08.

⊆ و

01- وادي الحجارة: 12، 13، 16، 75، 90.

02- وبذة: 13، 14، 15، 18، 35.

03- وشقة: 23، 24، 25، 27، 28، 30، 38، 39، 40، 62، 70، 77، 79،

86، 90، 99.

04- وليد (مدينة): 13.

فهرس الموضوعات:

المقدمة: أ

الفصل التمهيدي: نشأة الثغور ودورها في الدولة الإسلامية.

المبحث الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي للثغر: 02

المبحث الثاني: نشوء الثغور ودورها في الدولة الإسلامية: 03

الفصل الأول: التعريف بمملكة طليطلة ومملكة سرقسطة.

المبحث الأول: الموقع الجغرافي لمملكة طليطلة قاعدة الثغر الأدنى: 10

أ - حدود مملكة طليطلة: 12

ب - الجغرافية الطبيعية: 13

ت - الجغرافية الاقتصادية: 14

ث - الجغرافية البشرية: 17

المبحث الثاني: الموقع الجغرافي لمملكة سرقسطة قاعدة الثغر الأعلى: 22

أ - حدود مملكة سرقسطة: 23

ب - الجغرافية الطبيعية: 24

ج - الجغرافية الاقتصادية: 25

د - الجغرافية البشرية: 28

المبحث الثالث: الموقع الإستراتيجي للثغرين: 33

الفصل الثاني: القيادة العسكرية في الثغرين وقت السلم.

المبحث الأول: أصول القيادة العليا والإمارة في الإسلام: 38

المبحث الثاني: خصائص ومميزات القيادة العليا في الثغرين وقت السلم: 48

الفصل الثالث: القيادة العسكرية في الثغرين وقت الحرب.

المبحث الأول: الأسلحة: 57

أ - أسلحة قتال هجومية خفيفة: 60

ب - أسلحة قتال هجومية ثقيلة: 64

ج - أسلحة قتال دفاعية خفيفة: 67

د - أسلحة دفاع قتالية ثابتة: 68

المبحث الثاني: المواجهات العسكرية في الثغرين: 74

أ- المواجهات العسكرية ما بين (400-479هـ/1006-1086م)

75.....: (1086م)

ب- المواجهات العسكرية ما بين (479-520هـ/1086-1126م):.....: 84

94.....: **الخاتمة:**

98.....: **ملاحق البحث:**

99.....: الجداول

103.....: صور الأسلحة الخفيفة والثقيلة:

112.....: صور الحصون والقلاع:

118.....: الخرائط:

124.....: فهرس عام:

125.....: فهرس المصادر والمراجع:

137.....: فهرس الأعلام:

142.....: فهرس القبائل والشعوب:

145.....: فهرس الأماكن:

150.....: فهرس الموضوعات:

القيادة العسكرية في الثغرين الأدنى والأعلى بالأندلس في القرن 5هـ حتى الربع الأول من القرن 6هـ (ق11-12م)

القيادة العسكرية في الثغرين الأدنى والأعلى بالأندلس، دراسة تاريخية عسكرية، تهدف إلى بيان وتوضيح ما لهذه الأخيرة من قيمة، حيث كان الثغران المنفذ الذي أدى إلى اتساع وامتداد نفوذ الممالك النصرانية خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي، إلى مدن ثغرية عديدة في الأندلس كانت أحد الأسباب المعجلة في سقوطها.

فكثير من الناس يعتقدون أن نجاح القيادة العسكرية يرجع بالدرجة الأولى إلى قوة الجيش عددا وعدة، فذلك قد يكون حقيقة، ولكن لا ينبغي إهمال الكثير من الأسس والقواعد التي تبني الإستراتيجية العسكرية.

ومن هنا يمكن طرح الإشكال التالي: هل كانت القيادة العسكرية في الثغرين على نمط واحد أم أنها اختلفت باختلاف الزمان والمكان والأشخاص والحالة العامة في الحرب والسلام، وهل كان لقيادة المرابطين أثر بيّن في الحروب في الأندلس؟

وقد ضم الثغران مملكتين عظيمتين تجلت في مملكة طليطلة ومملكة سرقسطة، والتي تميّزت كل مملكة عن غيرها من حيث الجغرافية الطبيعية، الاقتصادية والبشرية، وأثر ذلك في تسيير وتصريف النتائج الكثيرة من الأحداث التاريخية والعسكرية، وبالخصوص النزعة الانفصالية والعقلية الثورية التي امتاز بها سكان مدن الثغر الأدنى، والتي عجلت بسقوط عاصمة الثغر الأدنى.

ولا يمكن إغفال دور القائد العام في تسيير دواليب القيادة إيجابيا أو سلبا، وهذا ما يلاحظ في سلوكيات بعض القادة في الثغرين، حيث فضلوا الاستعانة بملوك النصارى من أجل تحقيق نصر عسكري غير مؤكد النتائج، وكان مقابل ذلك فرض إتاوات وضرائب أرهقت خزينة المملكتين وأذاقت الرعية ويلات الذل.

ويمكن إضافة ملاحظة ذات قيمة لما سبق ذكره، وهي عدم ترميم ما تم تخريبه من أبراج وقلاع وحصون من جراء المعارك التي وقعت بالثغرين، بل تعدى الأمر إلى عدم مسابرة القيادة للتطورات العمرانية الحربية في زمانها.

وكان لظهور المرابطين بالأندلس، الدور الكبير في تأخير سقوط بلاد الأندلس بيد النصارى، حيث تصدوا للقيادة العسكرية النصرانية، بخطط وأسلحة متنوعة، وبشجاعة نادرة، جعلت القيادة النصرانية ومن كان تحت إمرتها يعاودون حساباتهم وخططهم، غير أن جهل المرابطين بالمواقع الجغرافية والطبيعية للأندلس، جعلتهم يقعون في أخطاء كثيرة ومتعددة،

كانت نتيجتها أن فقد المرابطون خيرة قادتهم.

وخلاصة القول، فإن سقوط الثغرين بأعمالهما، لا يرجع بالضرورة إلى ضعف القيادة في حد ذاتها، وإنما التناحر على الملك وتوسيعه والتقاتل من أجله هو ما عجل بالسقوط.

Note De Synthèse Masters

Direction militaire dans les deux marches, supérieure et inférieure en Andalousie du 5^{ème} de L'hégire au 1^{er} quart du 6^{ème} siècle de L'hégire

(11-12^{ème} ap.j.c)

La direction militaire dans les deux marches supérieure et inférieure en Andalousie, est une étude historique de L'armée, une déclaration visant à clarifier ce qui la valeur de celle ci; ce qui a conduit à l'expansion de l'extension de L'influence des royaumes chrétiens au cours du cinquième siècle de notre ère, (11^{ème} ap.j.c) visant les villes des marches, constituant une des causes accélérées de sa défaite.

Plusieurs personnes croient que le succès des dirigeants militaires est principalement attribuable à la puissance/force de l'armée sur tous les plants; c'est un fait, ce pendant on ne doit pas négliger les données et les règles qui renforcent la stratégie militaire. D'où l'exposition de la problématique suivante:

Est-ce que la configuration de la direction militaire dans les deux zones frontières est pareille où diffère selon le temps et le lieu et les natifs et la situation générale en temps de guerre ou de paix, et est-ce que la direction militaire des Almoravides a un effet latent dans les guerres en Andalousie.

Les deux zones frontières ont réuni deux royaumes grandioses: Tolède et Saragosse qui s'était différenciés sur le plan historique et militaire et l'apparition particulière du régionalisme et l'idiologie révolutionnaire qui a spécifie la zone frontière inférieure précipitant ainsi la chute de sa capitale.

Ce qui est observable dans les comportements des dirigeants militaires dans les deux zones qui ont mis un dispositif d'impôts et de taxes imposés aux natifs provoquant ainsi l'épuisement des fonds des royaumes.

On peut aussi ajouter une autre observation: La non restauration et la non/rénovation des forteresses, des tours...à cause des guerres; encore plus; la direction militaire ne suit pas le développement sur le plan architectural des constructions militaires.

L'émergence des Almoravides a eu un immense rôle dans le retardement de la chute de L'Andalousie en combattant avec une planification, des armes variées et un rare courage les dirigeants militaires chrétiens ce qui a poussé ces derniers à revoir leur structures et stratégies militaires. Ce pendant, l'ignorance des Almoravides, des territoires géographiques et naturels de L'Andalousie leur a fait commettre des erreurs multiples en perdant les meilleurs de leurs dirigeants militaires.

En conclusion, la chute précipitée des deux zones frontières avec leurs régions affiliées n'est pas du à défaillance de la direction en elle même mais à la lutte pour le pouvoir.

Note synthesis Masters

Military leadership in the two marches, upper and lower Andalusia the 5th of the Hegira the 1st quarter of the 6th century of the Hegira (11-12th a.jc)

The military marches in both upper and lower Andalusia, is a historical study of the army, a statement designed to clarify what the value thereof, which led to the expansion of the extension of L ' influence of Christian kingdoms during the fifth century of our ere, (11th a.jc) for the cities of marches, constituting one of speed up causes of his defeat.

Many people believe that the success of the military leadership is mainly attributable to the power / strength of the army at all plants, it is a fact, however we should not ignore the data and rules that reinforce the military strategy.

Hence the exposure of the problem:

Is the configuration of the military leadership in the two border areas where such is different depending on the time and place and natives and the general situation in times of war or peace, and is what management military almoravides effect a latent in the wars in Andalusia.

The two border areas have brought together two kingdoms grandiose: Toledo and Saragossa, which had differentiated in terms of historical, military and especially the emergence of regionalism and ideology revolutionary which specifies the border area and lower precipitating the fall of its capital.

What is observable in the behavior of military leaders in the two areas that have a tax and taxes imposed on native causing depletion of fonts kingdoms.

You can also add another observation: The non-food and non / renovation of fortresses, towers ... because of wars; even more, the military leadership does not follow the development on the architectural plan of military buildings. The emergence of almoravides had a huge role in delaying the fall of the Andalusia fighting with planning, weapons and a variety of rare courage military leaders Christians what prompted these latest afraid to review structures and military strategies. hang this, ignorance of almoravides, territories and natural geographical The Andalusia they did commit multiple errors while losing the best of their military leaders.

In conclusion, the precipitous fall of the two border areas with their regions is not affiliated some déffailance in the same direction in it but the struggle for power.